



كتاب الهدى

مدرسة المغفلين

تأليف

نوفيق الحكيم

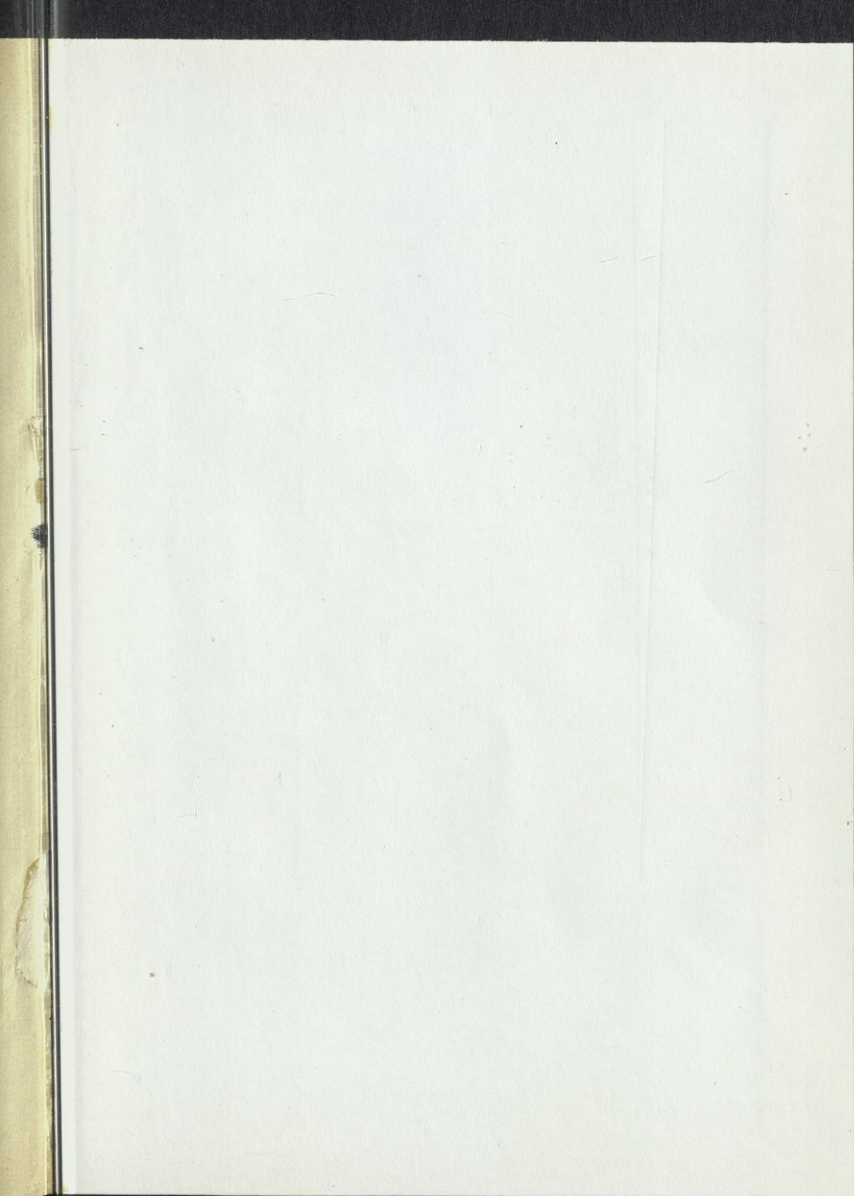


AUB. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



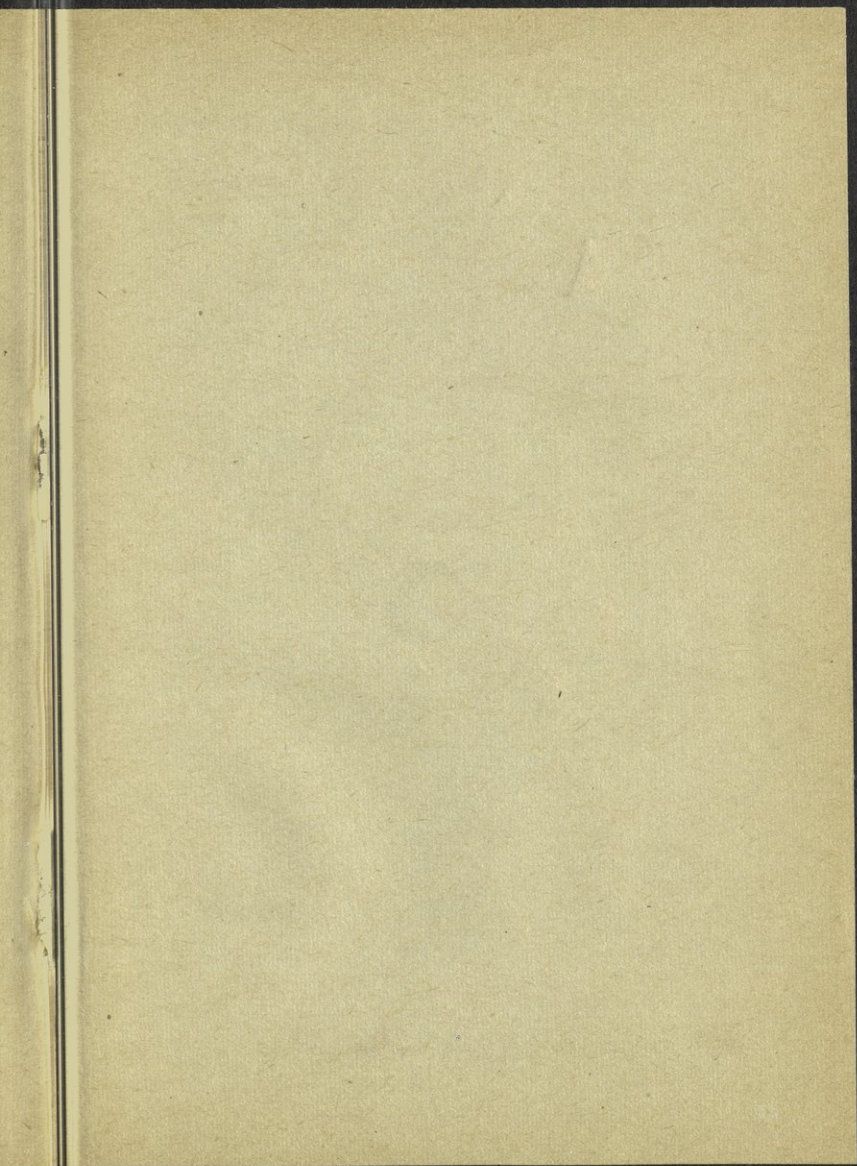
AUB. LIBRARY



كتاب الهلال

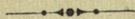


سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

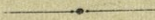


892.73
H2438mdA
c.1

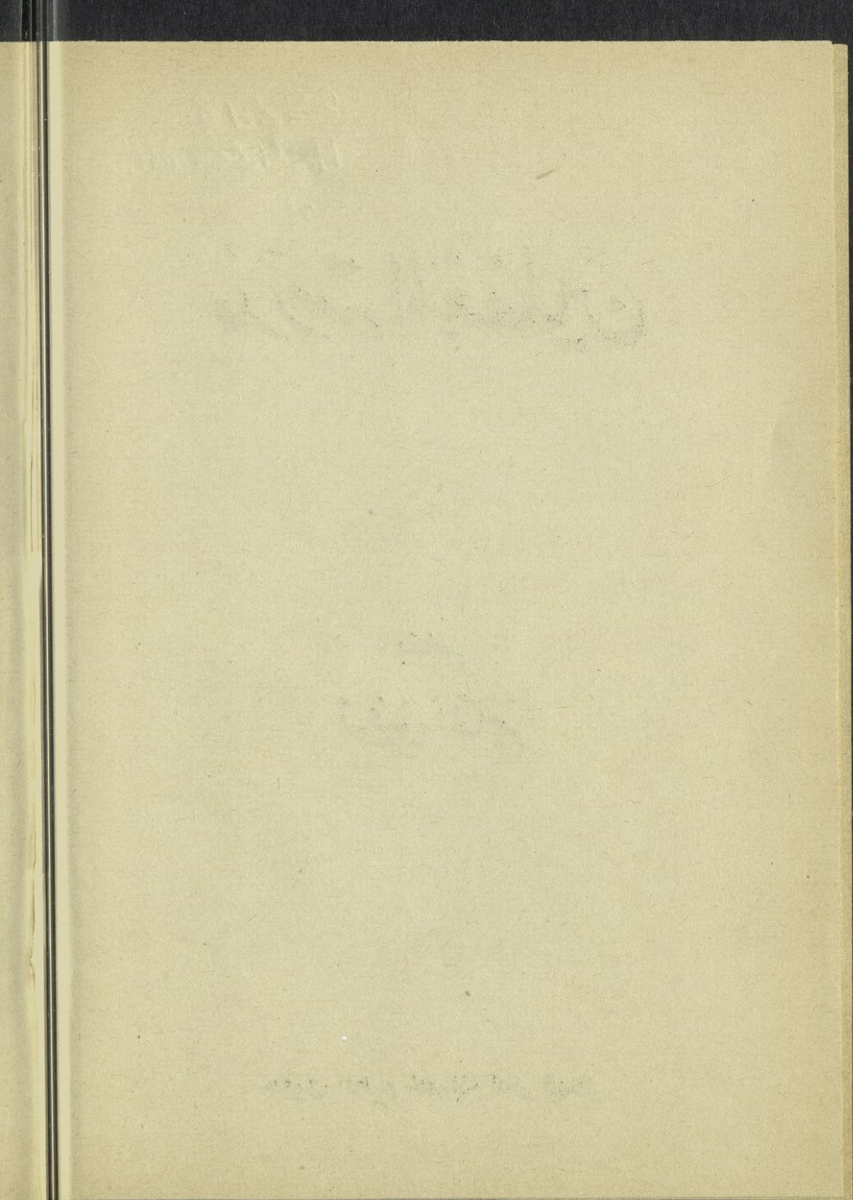
مَدْرَسَةُ الْمُعْظَلِينَ



بقلم
نوفيق الحكيم



حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال



مقدمة

بعض القصص التي يضمها هذا الكتاب قد بنى على حوادث وقعت بالفعل في مجتمعنا ، كما أن بعضها بنى على ما يحدث في الحياة الانسانية . وهناك فرق بين تصوير المجتمع وتصور الحياة ، فمصور المجتمع لابد أن يتقيد بما رأى وشاهد وعرف ، اذا أراد أن يكون صادقا ، فلا ينبغي له التعرض لبيئة أو طبقة لا يعرفها

ملاحظة الواقع شرط من شروط التصوير الاجتماعي .. أما تصوير الحياة فأمر آخر ، لان الحياة أشمل من الواقع . فالحياة الانسانية يدخل في نطاقها الواقع وغير الواقع ، لان حياة الانسان - على خلاف حياة النبات والحيوان - لا تقف عند حد الوجود المادي .. بل هي تشمل الوجود في مختلف نواحيه ، المنظورة وغير المنظورة ، المادية والروحية ولعل سمو قصة « هاملت » لشكسبير راجع الى احاطتها

الكاملة بالحياة البشرية ، فى غرائزها ومشاعرها وخيالاتها
وأشباحها وتفكيرها ، فيما هو كائن على الارض وما هو غير
كائن الا فيما بعد الموت ...

حياة الانسان هى أعجب ما فى الخليقة لانها أوسع ما فى
الخليقة

والقصة القصيرة ، باعتبارها لونا من ألوان الفن ، يجب
أن تتناول ذلك كله فيما تتناول من شئون الانسان فى
مجتمعه وحياته . ومهمتها فى ذلك عسيرة . لانها فن
اقتضاب وتركيز ، شأنها فى ذلك شأن المسرحية والقصيدة
وهذا التركيز هو الذى قد يجعل منها فن المستقبل -
فى رأى بعض أهل الأدب العالمى اليوم - ذلك أن أدب
المستقبل لن يجتمل الاسهاب . وقارىء اليوم والغد يكاد
تكفيه اللمحة الحاطفة لادراك الصورة الكاملة ، وتكاد تغنيه
الاشارة عن الاطناب فى العبارة

فالقارىء الحديث الذى يعيش فى عصر الطائرات النفاثات
لن يطيق طويلا الاسترخاء فى مطالعة مئات الصفحات ليحيط
بصورة من الصور أو شخصية من الشخصيات . كما أن
وجود الراديو والتلفزيون لن يتيح وقتا لقارىء ينفقه فى
مطالعة كتاب طويل الى جوار المدفأة، كما يقول الاوروبيون .

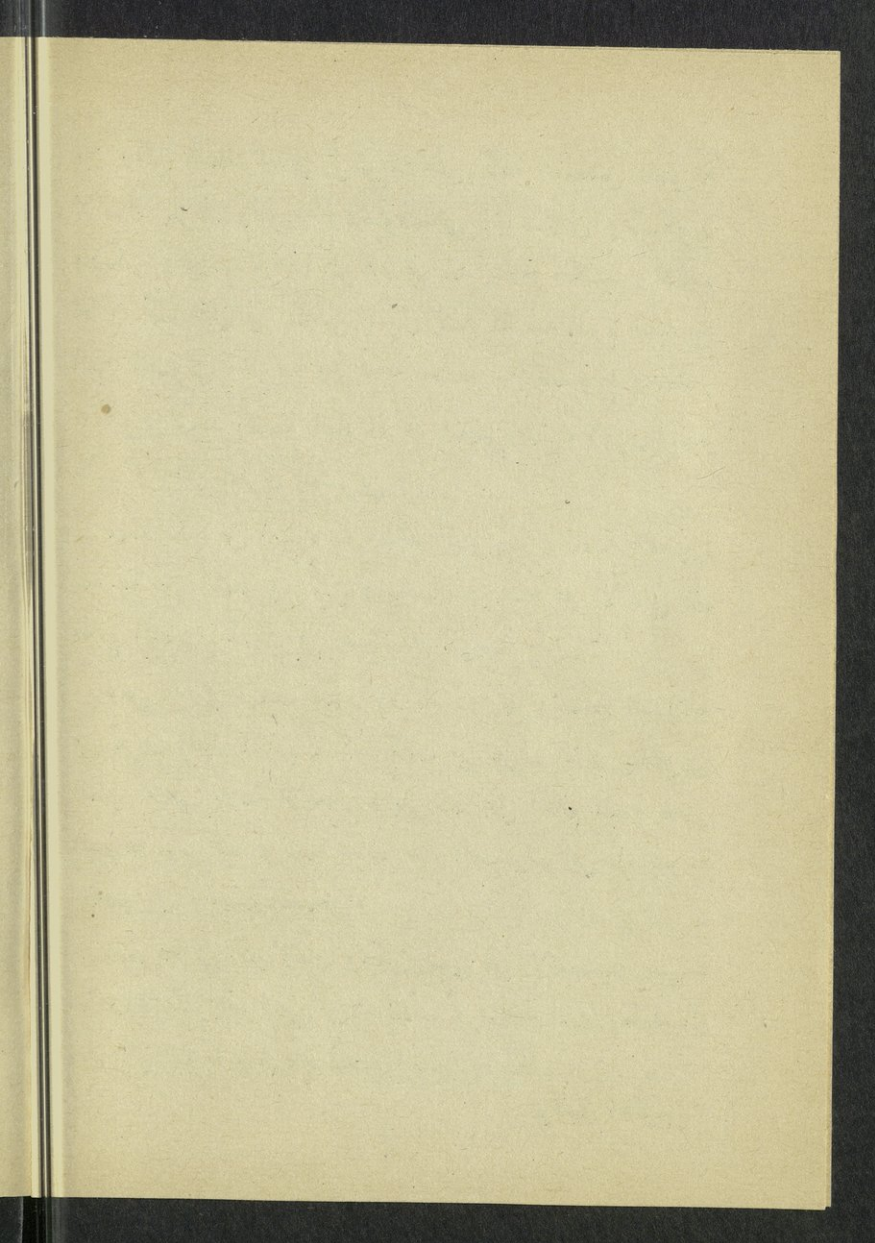
فان ركن المدفأة الذى ترعرعت فى كنفه القصص الطويلة
لائمال بلزاك وفلوير ودستوفسكى وتولستوى وسكوت
وديكنز وغيرهم ، هذا الركن لم يعد يحتله الكتاب وحده
الآن كما كان فى الماضى . بل يشاركه فيه اليوم صناديق
الفن الصوتى والمرئى وبرامج مختلفة من مسموع ومنظور
أترى مجد القصة الطويلة قد انقضى بانقضاء القرن التاسع
عشر وأوائل القرن العشرين ؟

مهما يكن من أمر ، فان طابع المسرحية والقصة القصيرة
بما فيه من ضغط وتركيز وإيجاز وتلميح هو الأدنى الى
طابع العصر الحديث فى مستقبله القريب

ومن يدرى ؟ فقد تدور الأيام دورتها وتصبح البلاغة
فى عرف العالم القادم ، كما كانت فى عرف الأدب العربى
الغابر ، هى بلاغة الإيجاز ، يفرضها على العالم اليوم عصر
السرعة .. كما فرضها قديما عند العرب الرحل سرعة
تقلهم بين واحات الصحراء

السرعة فى كل زمان ومكان تنمى فى الانسان سرعة
الادراك وسرعة التلقى والاستيعاب ، فيتخذ الفن تبعا لذلك
من القوالب ما يتفق مع روح العصر والحياة

توفيق الحكيم



مدرسة المغفلين

هـب من فراشه بعد منتصف الليل على طرق الباب ، وقام
ليفتح ، وهو كالسكران من حلاوة النوم ، ومشى فى دهليز
مسكنه الذى يبيت فيه وحده ، مشية غير الواثق من يقظته ،
ثم فتح بغير تفكير ، واذا شاب يدخل صائحا :

— ارحمونى .. ارحمونى ..

ويندفع الى البهو ، فيضىء أنواره كلها ، ويختار مقعدا
ضخما فخما يرتضى فيه ، ويخرج من جيبه ورقة ، طبق
يقرأ منها بأعلى صوته :

— ارحمونى .. ارحمونى ..

فأقبل صاحب البيت يجبر قدميه ويسأل متثابرا :

— ما هى المسألة ؟

— المسألة خطيرة جدا ، انه الحب ، انه السهاد ، انه البعاد

.. طول الليل وأنا أنظم هذه القصيدة ، لعلها ترق وتحن ،

لقد قطعت لها قلبى ، لأضع فى كل كلمة قطعة .. اجلس

واسمع ...

فلم يجد صاحب الدار بدا من الاذعان ، فالضيف صديق
لا يجب اغضابه ، وهو فى عرف الذوق واللباقة مكلف
باكرامه وارضائه ، فيجلس مكرها ، يغالب الكرى ويتجلد ،
ويصارع النعاس ويتماسك ، ليسمع شعرا ونظما فى الهزيع
الآخر من الليل

ونشر الضيف الورقة فى يده وأشد :

ارحمونى .. ارحمونى ..

طار نومى من عيونى

وتنبه صاحب البيت وقال وهو يفرك أجاجه الحمراء :

- عيون من التى طار نومها ؟

- عيونى أنا طبعا

- آه .. طبعا

ومضى الضيف فى التلاوة ، حتى قطع فيها شوطا ، فلم
يجد لانشاده صدى ، ولم يسمع على خريدته تعليقا . فرفع
بصره الى ذلك الذى يلقى عليه أبياته ، وينثر عليه آياته ،
فوجده يترنح ويتمايل .. لا من الاعجاب .. ولا من
الطرب .. طبعا ..

فكف عن القراءة وصاح :

- أنا آسف ، يظهر أنك متعب ، خير الأمور أن
تقوم ...

فأيقن النائم بالفرج ، ولم ينتظر ، ووثب من مقعده ،
كأنه عبد أعتق ، أو سجين أطلق ، ولسانه يلهج بالشكر ،
ولكن الضيف استأنف :

- نعم ، خير الأمور أن تقوم فتصب على رأسك كمية من
الماء البارد ، لتفيق وتنشط وتسمع بقية القصيدة ، لأنها
طويلة جدا

وهنا لم يطق صاحب البيت صبرا . ولم ير في ذمته
للضيافة حقا. فانفجر يلعن الحب والمحبين ، والشعر والنثر ،
وقصائد الغناء والبكاء ، وكل ما على الأرض من نساء ..
وترك المكان . وذهب الى حجراته ، واندس في فراشه ونام



مرت شهور على تلك الليلة ، وهو لا يعلم من أمر صديقه
المتيم شيئا .. ثم ترامت اليه الأخبار بأن ذلك الغرام الذي
أنشدت فيه القصائد بعد منتصف الليل ، قد جر صاحبه الى

أُخرج المآزق ، فالحيبة معلقة بعنقه كأنها قصيدة من معلقات
الكعبة . لا بد من الزواج . تلك صيحتها التي لا تنزل عنها ،
وبغيثها التي لا مفر منها . ولكن كيف يتزوجها ، وقد عرف
عنها ما عرف ؟ انها فتاة لعب ، من أولئك الفتيات المعروفات
على شواطئ المرح ، المبرزات في ملاهى الغزل . كم
دأبت ولأعبت . وفنتت وسحرت . ولو أنطق الله سلك
التليفون لجهر بعدد مغازلاتها . ولو تحدثت رمال البلاج
وموائد « الأوبرج » ، لما اختلفت على مقدار غمزاتها
وبسماتها ولفقاتها ..

ووقف حبيب الأُمس وقفة الذائد عن عنقه ، الغيور على
اسمه وشرفه . كل شيء الا الزواج من هذه الفتاة . ان
الحب شيء والزوجية شيء آخر . انه ليس مغفلا حتى يخلط
بين مسائل الغزل ومسائل المستقبل .. لا .. لن يتزوجها .
على الرغم من جمالها الفاتن ومركز أسرتها البارز . أما
هى فقالت بلسانها ولسان من توسط فى الأمر أن لعب الفتاة
قبل الزواج لا يدل على شيء ، وقد أصبح مألوفاً فى عصرنا
الحاضر . عصر الحرية والنور . فكثير من الزوجات
الناجحات شعبن لعباً ومغازلة قبل الزفاف . انها حجة واهية ،
يجب ألا يتذرع بها رجل جاد ...

وانتصرت المرأة فى النهاية، كما تعودت دائما أن تنتصر .
ووقع الرجل فى « الزوجية » كمن يقع فى « حفرة » ..
لا يدرى كيف لان وأذعن ، وقال « نعم » .. ولا يذكر
بالضبط كيف ساخت قدمه .. ولكنه أخذ يعلل نفسه
ويمنىها ويقنعها بقوله : « مع غيرى ربما صحت المخاوف ...
ولكن معى أنا ، مع مثلى ! .. وأنا أعرفها أكثر من أمها التى
ولدتها ، وهى تعرفنى وتعرف طباعى العنيفة وشكىمتى
القوية وغيرتى الشديدة وعينى الساهرة .. »



هذا ما كان من أمر الضيف المغرم ، أما ما كان من أمر
صاحب البيت ، فهو لا يعرف الشعر ولا الحب . وكل
ما يعرف أن وحدته فى بيته قد ثقلت عليه . وأن البيت بلا
امرأة جسد بلا روح . وأن همه فى منزله أن يخرج من
حجرة ليدخل أخرى ، ولسان حاله ينطبق على الأغنية
الشعبية القديمة :

« الغزويّة » طالت عليه

يا أُمى اخطبى لى حلوة وغنيّة
ولم يكن لديه أم تخطب له . ولم يكن من الضرورى

عنده أن يتثبت بشرط الحلوة الغنية . يكفيه الحل الوسط .
انه رجل مسالم قنوع . . . ولكن ، من يبحث له ؟ وهنا
تذكر سيدة من صديقات الأسرة . . امرأة نصف وزوجة
رجل محترم ، لها علم راسخ بأخبار المجتمع الراقى . .
خاطبها بالتليفون ، وأبان لها عن طلبته . فقالت ضاحكة :
« أتقبل نصيحتي ؟ الزواج فى عصرنا الحاضر كما يقول المثل
السائر : « على عينك يا تاجر » . . الطريقة المتبعة الآن أن
تحضر المجتمعات والحفلات وتختار من تعجبك ، وتسأل
عنها . . وها هى الفرصة سانحة . فى الاسبوع المقبل حفلة
خيرية فى « الاريزونا » ستلقى فيها كل أنيقات القاهرة ،
من سيدات وفتيات . تعال وانظر . . وأخبرنى هناك وأنا
أدلك . . . »



ووافى موعد الحفلة الخيرية . وكان مساء جميلا لمعت
فيه عيون النجوم وتألقت القمر . قارتدى رداء السهرة ،
وذهب على بركة الله . ولم يمض قليل ، حتى غاص فى
بحر أضواء السماء والكهرباء والنساء ، وأوغل فى روضة
الشجر والبشر . وامتدت حوله أيدي الاغصان وأذرع

الحسان . واستقبلته كواعب بائعات الفتنة فى صورة بائعات
للورد . وأحطن به من يمين ومن شمال . انه حصار الجمال .
ورد يبيع وردا . وأزهار تحمل أزهارا . فأخرج من جيبه
النقود عن غير وعى ، ونثر وبذر ، ليحصد البسمات
والنظرات . ها هى ذى سوق الملاحاة والرشاقة والدلال
ماذا يأخذ منها ، وماذا يدع ؟ ومن يحب ومن يكره ؟ ومن
ينبذ ومن يختار ؟ . فغشى بصره ، وزاغ نظره . وارتبك
وحار . . . ثم اتبه على صوت يناديه . فاذا هى السيدة
الخيرة التى سألها هدايته . أقبلت عليه وقادته كالربان الماهر ،
فى خضم موائد الأكل ومواكب الحسن . وهمست فى
أذنه :

- ألم تعجبك واحدة ؟

فقال على الفور :

- أعجبني الكل : أحب هذه ذات الثوب الوردى ، وأحب
تلك ذات الثوب البرتقالى ، وأحب الدانية ذات الثوب البنى .
وأحب البعيدة ذات الثوب الكحلئ . وأحب الضاحكة ذات
الثوب البندقى ، أحب هذه ، وهذه ، وهذه ، وهذه . . .
أحب الجميع . . .

فضحكت وقالت :

- ليس من المعقول أن تتزوج كل الحفلة . يجب أن يقع اختيارك على واحدة بالذات

- هذه الحفلة «الخيرية» وان شئت فقل « سوق النخاسة العصرية » ، تعج ببضاعة تبهر العقل .. ولم أعد أدري أنا البائع في هذه السوق أم المشتري ؟ لقد تهت وضلت .. تخيري لى أنت بصائب حكمتك وواسع خبرتك !..

فأشارت الى مجموعة من النساء متلائة، تزدري بالمجموعة الشمسية ، وقالت :

- ألق نظرة على هؤلاء ..

- أكلهن للزواج ؟

- بالطبع . كل من ترى هنا . الفتيات يردن أن يتزوجن والزوجات يردن أن يتطلقن ..

فأرسل نظرة شاملة على تلك النحور العارية ، والصدور المكشوفة ، والبسمات الفاتنة ، والنظرات المفتونة ، وقال في نفسه : أين ذلك العهد الذى كانت تسمى فيه المرأة « السيدة المصونة والجوهرة المكنونة » ؟! ترى ماذا يجب أن تسمى اليوم ؟ ..

وأخذ يفكر فى اسم أو لقب أو وصف يمكن أن ينطبق عليها الآن .. ولكن جبل تفكيره انقطع فجأة .. فقد لمح عن بعد صديقه الضيف ، صاحب القصيدة ، يدخل من الباب ، وقد أحاطت به بائعات الورد كالمعتاد .. ولمحته فى عين الوقت الست الدلية الهادية ، فهمست قائلة :

- صاحبك ..!

- نعم . انه يدخل وحده . عجباً ! .. أين زوجته اذن؟
بلغنى أنك كنت احدى الساعات فى الخير بينهما .. وكنت ممن توسط فى أمر ذلك الزواج
فقالت السيدة بصوت الجذ :

- حقيقة .. شوشو صديقتى ، وكنت أظنها تمشى بعقل بعد زواجها . ولكن ، كلام فى شرك .. أنا لا أحب أن أكون مسئولة عنها الآن . أنا أفهم أن يكون للزوجة بعض الحق فى اللهو .. ولكن على شرط أن تكون فى منتهى الحذر حتى لا يلحظ عليها شئ .. وأن تتصرف بغاية الحرص حتى لا يبدو على سلوكها شك . أما شوشو فلا أدري ماذا جرى اليوم لعقلها .. انها - فضلا عن علم الجميع بأن لها حتى الآن أربعة عشاق أو خمسة فى نفس الوقت -

لا تحاول أن تدارى أمورها ، أو تستر تصرفاتها .
تصور أنها فى وضح النهار تنزل من سيارتها أمام دهية
معروفة ومعها حقيبة صغيرة تحوى « بيجامتها » الحريرية ..
وكل هذا تحت سمع السائق وبصره ، وتحت نظر من يمر
من المعارف والفضولين الذين قد يعرفون السيارة وصاحبها
.. لا .. شوشو فى الحقيقة متهورة اليوم أكثر من اللازم ،
وانى أرى منها كل ذلك وأقول فى نفسى : « ربنا يستر » ..
فكل الناس يعرف سيرها الآن .. أمرها شاع ورائحتها
فاحت ...

- وزوجها .. ألم يشم الرائحة ؟

- الظاهر أنه مزكوم ، كأكثر الأزواج

وكان زوج شوشو عندئذ قد تخلص من بائعات الورد ،
وسار يفحص بعينه الجموع ، كأنه يبحث عن أحد . حتى
أشرف عليهما .. فلما صار على خطوات منهما لمحهما هو
الآخر فأسرع نحوهما وحياهما . وعاتب صديقه صاحب
البيت عتابا هادئا يخالطه المزح ، لما لقيه فى بيته من اهمال ،
تلك الليلة التى تفجرت فيها شاعريته .. على أنه انتقم ، كما
قال ، فلم يدعه الى حفلة قرانه ولا الى بيت عروسه .. وهنا

التفت الى السيدة قائلا بلهجة العجلة واللهفة :

- شوشو .. ألم تلمحيها هنا ؟ لقد سألتني أن أسبقها ..
قائلة انها ستمر ببعض صديقاتها أولا .. وقد رأيت الذهاب
لبعض أعمال آخرتي ، وجئت حاسبا أنى أجدها . لا شك
أن حديث صديقاتها شغلها عن الوقت .. انه لمن حسن الحظ
أن أقابلك هنا الليلة . انها خير مناسبة أقدم لك فيها شكرى .
كاد يمضى نصف عام على زواجى ، الذى توسطت أنت فيه
ولو تعلمين كم أنا سعيد ! .. لقد كنت مغفلا يوم ترددت
وتمنعت وتخوفت . ألا تذكرين كم جاهدت أنت لاقناعى ؟
الحق كان فى جانبك . شوشو اليوم ملاك . وانى أضحك
من نفسى لرأى السابق فى طيشها . انك ولا شك قد لاحظت
اليوم كم تغيرت وعقلت . الحمد لله ، مخاوفى كانت فى غير
محلها . لقد ظلمت المسكينة . وهى فى الحقيقة زوجة طيبة
مخلصة يندر أن يوجد لها مثل ..

ومضى فى هذا الكلام .. وصديقه « صاحب البيت »
يصغى اليه فاعرا فاه .. لا يصدق ما يسمع . الى أن تأكد
له أن أذنه لم تخدعه .. فهمس قائلا :

- انا لله وانا اليه راجعون !

ولم يلبث هذا الزوج أن جذبته من ذراعه يد أحد
المعارف . فاستأذن ومضى معه الى مائدة عامرة بالأصدقاء
وترك صاحبه والسيدة الدليلة الهادية يتبادلان النظرات ،
صامتين بلا تعليق .. وأخيرا نطقت السيدة قائلة :

- والله شاطره !..

- شاطره !؟ وهل هذا مصيرى أنا أيضا ؟ وهل نصيحتك
لى ستكون من هذا القبيل ؟

فضحكت وقالت :

- لا .. لا تخف .. ظروفك أنت مختلفة كل الاختلاف
ومع ذلك .. ما دمت قد رأيت بعينك وسمعت بأذنك فلا
يصح لى أن أغشك .. هل تريد الصراحة ؟ اذن اسمع
رأىي : هذا جيلك الجديد وهذا عصرك . خذ الأمور كما
هى ولا تخدع نفسك . واعلم أن أكثر النساء هنا لكل
واحدة منهن على الأقل عشيقان أو ثلاثة .. وان تلك التى
يقال انها نظيفة السمعة ولم يسمع عنها أحد شيئا ، هى التى
لها عشيق واحد .. فاذا أردت منى أن أغاطك ، أو أن
أشجعك على مغالطة نفسك ، فهذا أمر آخر .. ولكنى
أنصحك أن تنظر الى الواقع اليوم بعين الواقع ...

وسكت لأن الموسيقى الراقصة دوت فى المكان .. وقام
من كل مائدة زوجان .. ودق الطبل ورن النحاس وعوى
« السكسوفون » .. فكان لمزيج أصواتها صدى يشبه صراخ
الحيوان الجوعان .. ولعبت الاجساد بالاجساد .. واحمرت
العيون وندت الشفاه واتسعت الاحداق .. واضطربت
الافكار فى رأس «طالب الزواج» ماذا يصنع ؟ وماذا يقول ؟
وعلى ماذا يعول ؟ ..

وظل فى اختلاط فكره وحيرة رأيه ما ظلت الرقصة فى
اختلاطها ولعبها بأفئدة الراقصين والمشاهدين ... الى أن
انتهت الرقصة . وصمتت الموسيقى ، وصفق الحاضرون .
وأقبل البعض على البعض يتحادثون ... فالتقت السيدة
الهادية الى زميلها الخاطب قائلة :

— لم أتلق جوابك .. ماذا قررت ؟

فأطرق لحظة ، ثم رفع رأسه وقال :

— أمرنا الى الله . ابحتى لنا اذن عن واحدة شريفة ،

عفيفة ، سمعتها طيبة ، ليس لها غير عشيق واحد !!!

الشيخ البليبي

لم أره قط رؤية العين .. ولكنى سمعت به ممن رأوه
وعرفوه .. فقد كان لذلك الرجل صيت فى الاقاليم منذ
أكثر من ثلث قرن .. كان رجلا فارع الطول ، فيما يقال ،
ضخم الجرم ، ذا هيئة تفرض على الناس التبجيل والاحترام
.. وكان شديد العناية بشيابه ، لا يرتدى منها الا ما غلا فى
الثلثين وزاد فى المهابة .. كان عظيم المهابة ، أشيب اللحية ،
طويل المسبحة ، كبير العمامة ..



روى لى محدثى عنه قائلا :

- عرفت الشيخ « البليسى » لأول مرة فى دار الباشا
المدير . دخلت عليهم فى تلك « المنطرة » التى كان يجتمع
فيها من حين الى حين جلة علماء المديرية وأكابر أعيانها :
فأبصرت « الشيخ » بطلته الجليلة فى صدر المجلس ، فما
شككت فى أنه أعظمهم فضلا وأرفعهم قدرا .. فلما قدمنى

اليه المدير ، لم أنتظر حتى أعي اسمه ، وانكبت ، لهيبته ،
على يده أقبلها .. فسحبها مني برفق وأفسح لي مكانا الى
جواره ، وهو يقول بصوته الوقور :

- أستغفر الله يا بنى ، أستغفر الله !... على من أخذت
العلم فى الازهر الشريف ؟! ..

فعلت وجهى حمرة الحجل وقلت :
- لم أدرس العلم .. ولكنى رجل مزارع من ذوى
الاملاك ..

فربت على يدي بكفه قائلا :
- وأنعم بالزراعة والزراع !. من يزرع خيرا يحصد
خيرا ، ومن يزرع ...
وسعل سعالا خافنا غريبا كأنه عواء .. جهد فى كتمه
بكمه ومضى يقول متلظفا :

- كيف اتفق أننى لم أرك هنا من قبل ؟
فقلت وأنا ألقى نظرة على الباشا المدير المشاغل عنا
بضيوفه وهم يتحدثون ، فيما بينهم ، هامسين ، حتى
لا يزعجوننا ، فيما اعتقدت ، بأصواتهم :
- انى قليل المجيء الى البندر. ولا أغادر أرضى وعزبتى

الا اذا دعنتى الى ذلك المصالح أو الضرورات ..
فقال الشيخ وهو يعد بأصابعه المرتجفة حبات مسبخته :
- حسنا فعلت يا بنى .. لقد قالوا فى الأمثال : الارض
التى لا ترى قدم صاحبها لا تفلح ...

وسعل ذلك السعال الغريب المكتوم وقد وضحت معالمه
المشابهة لعواء الكلب .. فأخذتنى رعدة .. وأحس ذلك
منى .. فمال على أذنى هامسا :

- هل أزعجك سعالى ؟ . لا تخش شيئا .. هذا أمر
يأتى أحيانا ويمر مر الكرام ..
فقلت له باطمئنان :

- بل لا تنزعج فضيلتك .. انما هو برد عارض من برد
هذه الايام ..

فقال لى بنبرة وقورة هامسا :

- لا .. يا بنى .. هذا ليس ببرد .. انى ما تعودت
الكذب . انما هو مرض آخر ..

- ليس خطيرا على كل حال ..

- أرجو أن يبرئنى الله منه ..

وسعل .. أو على الأصح عوى كالكلب .. وهو يسد

فمه بكمه حتى لا يبلغ الصوت أسماع الحاضرين .. وألقى عليهم نظرات قلقة مضطربة .. وهمس فى أذنى :

- لعل سعالى لم يصل اليهم . أما أنت فمثل ابنى .. ولعلك تكتم عنى .. انها بليّة ، ابتلانى بها الله .. وهو لا يبلو الا عباده الصالحين .. أسأله تعالى أن ينهى هذه الازمة على خير حتى أنصرف عن هذا المجلس ..

فأخذتنى به شفقة .. ورأيت يلم أطراف عباءته ، ليسرع بالتهوض ، ولكن السعال أو العواء أدركه .. فلبث فى مكانه يحشو فمه بكمه .. حتى هدأ قليلا .. فقلت له :

- أما من علاج لهذا ؟ ..

- العلاج بيد الله .. وأخشى أن يكون قد فات أوانه .. كل ما أرجوه ألا يكون دائى خطرا على الناس .. كفى ما حدث لذلك الخادم المسكين ..

- ماذا حدث له ؟ ..

قلتها مرتاعا .. فقال بصوت مرتجف متعب جاف :

- اشتدت على الازمة يوما . وقيل انى كنت أسعل سعالا كعواء ذلك الكلب « المسعور » الذى عضنى .. فلما أراد خادمى اسعافى ومعوتتى هبرته بأسناني وعضضته عضّة أدت

الى وفاته .. رحمه الله رحمة واسعة ! ورحمى أنا أيضا
وغفر لى ..

وقطع سعاله حديثه .. وجعل يمزق كمه بأسنانه ، حتى
لا يخرج الصوت من فمه واضحا .. وجعلت أنا أحاول
التزحزح من مكانى مبتعدا عنه من الخوف .. ولكن احترامى
له وعطفى عليه وحرصى على شعوره وخشيتى من لفت
الانظار اليه .. كل هذا سمرنى فى مقعدى .. فتجلدت
وقلت له بصوت متهدج :

— انها ولا شك أزمة خفيفة ستمر ..

ولم أتم .. فقد جحظت عيناه .. وتغير وجهه .. وأرغى
وأزبد .. وكشر عن أنيابه ، وانقلب — فى لحظة — ذلك الشيخ
الوقور ، الى كلب خطر عقور .. وترك كمه وفغر فاه
بعواء سافر مرعب .. ومد يديه نحوى كأنهما مخالب ..
وهم بالهجوم على .. وهنا لم أدر من الفزع الا وأنا أثب
نحو الباب وثبة ، صدمتى بعارضته الحشبية صدمة ، ما برح
أثرها باقيا فى جينى .. وما كدت أجد نفسى فى فناء الدار
.. حتى صحت من حلاوة الروح بالخدم والحجاب :

— الحمد لله ! هربت بجلدى .. لكن المصيبة هى مصيبة

الباشا المدير وضيوفه .. لقد أكلهم فضيلة الشيخ ونهشهم
وانتهى الأمر !..

وأردت أن أدفع بالحجاب الى داخل « المنظرة » لينفذوا
من يمكن انقاذه ... واذا بى أرى الباشا المدير وضيوفه ،
يتوسطهم « الشيخ » الجليل ، خارجين من الباب يتمايلون ،
والضحك يكاد يقطعهم تقطيعا ..



فلما انكشفت لى الحقيقة وأبدت احتجاجى .. قال لى
المدير باسم :

- ألا تعرف الشيخ « البليسى » ونوادره ودعاباته ؟!..

هذا هو الشيخ البليسى ... هل تعرفه الآن ؟

فأشرت الى الصدمة فى جبهتى وقلت مبتسما :

- معرفة تركت فى أثرا !..

فتقدم نحوى « الشيخ » كما يتقدم الممثل بعد أن مسح

عن وجهه طلاء التمثيل .. وقال :

- الحمد لله على السلامة !.. ان شاء الله قريبا ..

فقاطعه صائحا :

- مستحيل .. لا يلدغ - بل قل .. لا يعض - مؤمن ..

فبادر هو يكمل العبارة :

- من كلب مرتين ... هذا صحيح .. ولكن من قال
لك أنى سأكون كلبا فى المرة القادمة ؟

- اذا قابلتنى فى المرة القادمة فكن كما شئت وشاءت لك
براعتك ..



ولم أقابله بعدها أبدا .. الى أن مات وذهبت أيامه ..
ولم يعد لهذه المجالس و « المنادر » وجود .. وانقرض هذا
النوع من الناس .. وانقرض معه نوع من المواهب الطبيعية
يتفجر من السليقة الانسانية ، كان لازما لادخال الانس على
مجالس ذلك العهد

أن لكل عصر رجال أسسه .. ولكن عصر « المنادر »
كان له رجال قلما يوجد بمثلهم الزمان ..

لا آسف على شئ أسفى على انى لم أقابل « الشيخ
البليسى » مرة أخرى . وان كنت على ثقة من أنه كان
سيترك فى مرة أخرى أثرا لا يمحي ...

ابليس يتصر
كوفي

اتخذ قوم شجرة ، صاروا يعبدونها .. فسمع بذلك
ناسك مؤمن بالله ، فحمل فأسا وذهب الى الشجرة ليقطعها
.. فلم يكد يقترب منها ، حتى ظهر له « ابليس » حائلا
بينه وبين الشجرة ، وهو يصيح به :

- مكانك أيها الرجل ! .. لماذا تريد قطعها ؟

- لانها تضل الناس

- وما شأنك بهم ؟ دعهم فى ضلالهم ! ..

- كيف أدعهم .. ومن واجبي أن أهديهم ..

- من واجبك أن تترك الناس أحرارا ، يفعلون ما يحبون

- انهم ليسوا أحرارا .. انهم يصغون الى وسوسة

الشیطان ..

- أوتريد أن يصغوا الى صوتك أنت ؟! ..

- أريد أن يصغوا الى صوت الله ! ..

- لن أدعك تقطع هذه الشجرة ..

- لا بد لى من أن أقطعها ..

فأمسك ابليس بخناق الناسك .. وقبض الناسك على قرن
الشیطان .. وتصارعا طويلا .. الى أن انجلت المعركة عن
انتصار الناسك .. فقد طرح الشيطان على الارض وجلس
على صدره وقال له :

- هل رأيت قوتى ! ..

فقال ابليس المهزوم بصوت مخنوق :

- ما كنت أحسبك بهذه القوة .. دعنى وافعل ما شئت
فخلى الناسك سبيل الشيطان .. وكان الجهد الذى بذله
فى المعركة قد نال منه .. فرجع الى صومعته واستراح
ليلته ..

فلما كان اليوم التالى حمل فأسهه ، وذهب يريد قطع
الشجرة واذا ابليس يخرج له من خلفها صائحا :

- أعدت اليوم أيضا لقطعها !؟

- قلت لك لا بد لى من أن أقطعها ..

- أوتظنك قادرا على أن تغلبنى اليوم أيضا ؟ ..

- سأظل أقاتلك حتى أعلى كلمة الحق ! ..

- أرنى اذن قدرتك ! ..

وأمسك بخناقه .. فأمسك الناسك بقرنه .. وتقاتلا
وتصارعا .. الى أن أسفرت الموقعة عن سقوط الشيطان
تحت قدمي الناسك .. فجلس على صدره وقال له :
- ما قولك الآن في قوتي ؟!

- حقا .. ان قوتك لعجيبة .. دعني وافعل ما تريد ..
لفظها الشيطان بصوته المتهدج المخنوق .. فأطلق الناسك
سراحه .. وذهب الى صومعته واستلقى من التعب والاعياء
حتى مضى الليل وطلع الصبح فحمل الفأس ، وذهب الى
الشجرة فبرز له ابليس صائحا فيه :

- ألن ترجع عن عزمك أيها الرجل ؟!

- أبدا .. لا بد من قطع دابر هذا الشر !..

- أتحسب أنني أتركك تفعل ؟!

- ان نازلتني فاني سأغلبك ...

ففكر ابليس لحظة .. ورأى أن النزال والقتال والمصارعة
مع هذا الرجل لن تتيح له النصر عليه ... فليس أقوى
من رجل يقاتل من أجل فكرة أو عقيدة ..

ما من باب يستطيع ابليس أن ينفذ منه الى حصن هذا
الرجل غير باب واحد : الحيلة ..

فتلطف للناسك وقال له بلهجة الناصح المشفق :

- أتعرف لماذا أعارضك في قطع هذه الشجرة؟! انى
ما أعارض الا خشية عليك ورحمة بك .. فانك بقطعها
ستعرض نفسك لسخط الناس من عبادها .. مالك وهذه
المتاعب تجلبها على نفسك؟ .. اترك قطعها وأنا أجعل لك
فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك .. وتعيش فى
أمن وطمأنينة وسلامة! ..

- دينارين؟! -

- نعم .. فى كل يوم .. تجدهما تحت وسادتك !
فأطرق الناسك مليا يفكر ثم رفع رأسه وقال لابليس :
- ومن يضمن لى قيامك بالشرط؟! -

- أعاهدك على ذلك .. وستعرف صدق عهدي ...
- سأجربك ..

- نعم .. جربنى ..

- اتفقنا



ووضع ابليس يده فى يد الناسك .. وتعهدا .. وانصرف

الناسك الى صومعته وصار يستيقظ كل صباح ، ويمد يده
ويدسها تحت وسادته فتخرج بدینارین .. حتی انصرم
الشهر . وفى ذات صباح دس يده تحت الوسادة فخرجت
فارغة .. لقد قطع ابليس عنه فیض الذهب .. فغضب
الناسك .. ونهض فأخذ فأسه .. وذهب الى قطع الشجرة
.. فاعترضه ابليس فى الطريق ، وصاح فيه :

— مكانك ! .. الى أين ؟ ..

— الى الشجرة .. أقطعها !

فقهقه الشيطان ساخرا :

— تقطعها لانى قطعت عنك الثمن ! ..

— بل لا أزيل الغواية وأضیء مشعل الهداية ! ..

— أنت ؟ ! ..

— أتتهزأ بى أيها اللعين ؟ ! ..

— لا تؤاخذنى ! .. منظرک یثير الضحك ! ..

— أنت الذى يقول هذا ، أيها الکاذب المخاتل ؟ ! ..



وانقض الناسك على ابليس وقبض على قرنه ... وتصارعا

لحظة . . . واذا المعركة تنجلي عن سقوط الناسك تحت حافر
ابليس . . فقد انتصر وجلس على صدر الناسك مزهوا
مختالا يقول له :

- أين قوتك الآن أيها الرجل ؟!..

فخرج من صدر الناسك المقهور صوت كالخشرجة يقول:

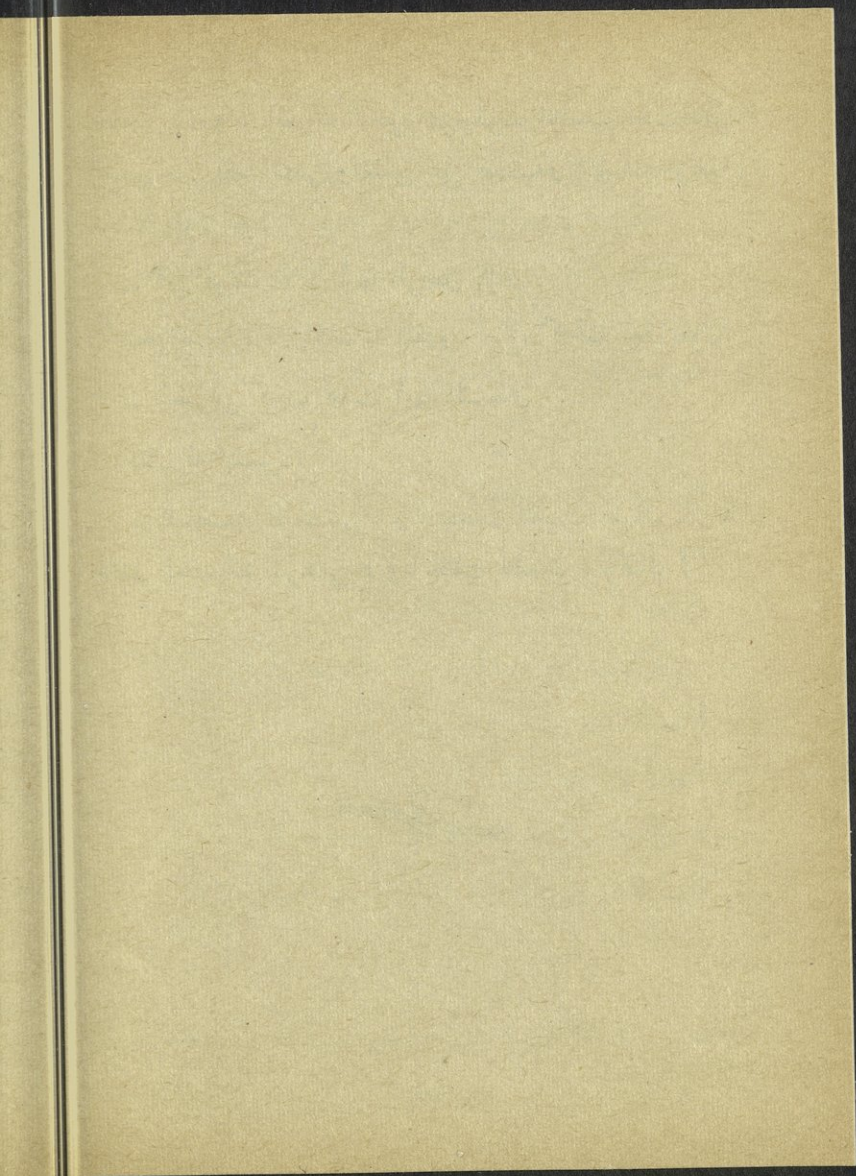
- أخبرني كيف تغلبت أيها الشيطان !..

فقال له ابليس :

- لما غضبت لله غلبتني ، ولما غضبت لنفسك غلبتك . . لما

قاتلت لعقيدتك صرعتني ، ولما قاتلت لمنفعتك صرعتك !





ليلة الزفاف

انطلقت آخر « زغاريد » ذلك القران الميمون فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وزف « العروسان » الى حجرتيهما بعد أن رشا بالملح من عيون الحساد . وأغلق عليهما الباب وصارا وحدهما أخيرا ... وقد اجتازا الاعتساب نحو تلك اللحظة التى لم تخلق مثل كل اللحظات ... تلك اللحظة التى تشع كاللؤلؤة البهيجة فى تاج الزمان.. زمان كل فرد على هذه الارض .. من الملوك الى الصعاليك . تلك اللحظة التى بذل فيها ما بذل . ومن أجلها احتشد المعارف والاصدقاء ، واحتفل الاهل والاقرباء ، ونصبت الموائد ، وقرعت الكؤوس ، ولعب الفرح والانس بالرؤوس ، وحمى الرقص وارتفع الغناء ، وسبح الحاضرون وعاموا فى أويقات من الهناء ... جاءت تلك اللحظة ... قمة السهرة ، وقبة الحفلة ، ومحراب الليلة ... لحظة الحلوة بين العروسين . ويا لها من لحظة !.. كل زوج ولا شك يذكر حيرته وهو يبحث فى رأسه عن أول كلمة يخاطب بها عروسه وقد

صارا على انفراد . أبدأ بكلمة جدية أم كلمة فكهة .. أم كلمة عاطفية ؟ . وكل زوجة تذكر ولا ريب احساسها وهى تنتظر الكلمة الاولى من فم « عريسها » !

أما عروس الليلة فلم يد عليها أنها تنتظر شيئا . فما كاد باب حجرة العرس يغلق ، حتى تركت « عريسها » واتجهت الى منضدة الزينة، وجلست ووضعت رأسها الجميل فى كفيها . ورأى « العريس » منها ذلك ، فأقبل عليها يقول :

- أمتعبة أنت يا عزيزتى ؟ صخب العرس أزعجك فيما أرى ! ..

فلم تجب . ولم ير العريس وجهها الذى تخفيه يديها ، ولكنه لم يلبث أن رأى قطرة دمع تفر من بين أصابعها ، وتسقط على ثوب عرسها الابيض . فقال بصوت يتهجدج حنانا :

- أتبكين يا سونه ؟!

فلم يسمع منها غير نشيج خافت . فتألم لها . انه يعلم السبب . ان سنية وحيدة أمها . وقد فقدت أباه منذ بضعة أعوام . فالافتراق عن هذه الأم العزيزة التى كانت لها كل

شيء ليس بالأمر اليسير . ولعل هذه الفكرة هي التي كانت
تخيم عليها طول الحفلة . لقد كانت مطرقة واجمة ذاهلة ،
قليلة الكلام نادرة الابتسام فحدب عليها ، وألصق خده
برأسها ، وقال لها :

- لا تبكى يا عزيزتى سونة . سأكون لك أما وأبا وزوجا
وأخا .. ولن أجعلك تشعرين أبدا أنك فقدت شيئا أو
فارقت أحدا ..

فأبعدت رأسها عن خده ، وأرادت أن تتكلم ، ولكن
الدموع غلبتها .. فبادر هو يقول لها :

- لا تتكلمى ! انى أعرف ما تريدين أن تقولى . اطلقى
دموعك ولا تكتمىها . هذا أمر طبعى . لست أخشى الا على
عينيك الجميلتين .. ولكن البكاء فى مثل هذه الحال يجلو
النفس ، وعما قليل تشعرين بالراحة ، ويشرق وجهك ،
كأنه شمس تسطع بعد مطر خفيف لطيف ..

فاهتزت كأن فى جوفها معركة .. ثم تشجعت وقالت
والدمع فى عينيها :

- أريد أن أصارحك بشيء ... هل تسمح لى ؟
- بالطبع يا سوتى .. بالطبع . صارحني بكل ما فى

نفسك . ألسنا الآن زوجين ؟ لا ينبغي أن يخفى أحدا عن
شريكة شيئا

- نعم ، من واجبي أن أقول لك .. وأرجو أن لا تتألم
أو تغضب : انى أحب شخصا آخر ...

لفظتها بسرعة وقوة ، ثم استخرطت فى البكاء . ودوت
هذه العبارة فى أذن العريس كأنها قذيفة ، وأذهلته المفاجأة ،
فلم يحس ألما ولا غضبا .. بل لم يشعر بنفسه ولا بما حوله
.. ولا بالوقت الذى مر قبل أن يتماسك ويثوب الى رشده ،
ويعى مدلول ما سمع .. وينظر فيما ينبغي أن يصنع ...
وكان رجلا رزينا عاقلا فى نحو السادسة والثلاثين ، علمته
تبعات منصبه المحترم أن يزن الأمور . فسرعان ما ضبط
نفسه ، وقال بهدوء ممزوج بالمرارة والعتب المذهب :

- ألا ترين أن هذا التصريح جاء متأخرا بعض الوقت ؟
هل كان لديك مانع من الافضاء به الى فى أيام الخطبة أو
قبل ابرام العقد على الأقل ؟

- كان يجب أن يتم هذا القران ارضاء لأمى المسكينة .
كنت أراها أتعس بمخلوقات الارض كلما حاولت اقناعها
بفسخ خطبتنا . لقد كان أملها الوحيد ، وحلمها الدائم أن

ترانى زوجه رجل مثلك !.. ولقد خانتنى شجاعتي فلم
أجرؤ على صدمها فى آمالها.. وهى مسنة ضعيفة مريضة .
ان الله يعلم كم جاهدت كى أكتم عاطفتى وأخفق حبى ،
وكم أردت آخر الأمر أن أفهم نفسى أن الماضى قد انتهى
بالزواج .. وقد خيل الى أن قلبى قد استجاب لنداء العقل ،
لكنى الليلة ، وقد تم الأمر ، وأمسى كل شىء حقيقة ..
سمعت صرخات قلبى تهزنى هزا وتكاد تهدم كيانى ، فأيقنت
انى لن أستطيع المضى فى خداع نفسى . ولا يليق بى المضى
فى خداعك ..

كانت تقول ذلك وهى تشهق بكائها وتنشج .. وأطرق
العريس وفكر فيما أفضت به مليا .. ثم قال :

- تصرف سليم ، ولا غبار عليه . ثقى انى من جانبى على
أتم استعداد لمعاونتك فيما يتجه اليه عزمك . الحق معك ..
لا يجب أن تخدعى نفسك . استمعى الى صوت قلبك .
وما دام حبك صادقا .. فليس لأحد عليك سبيل . انى
أضع حريرتك بين يديك منذ الآن ، وأضع نفسى فى خدمتك ،
فلتدبر الأمر معا . كيف نخرج من هذا الموقف أولا؟
هـى أنى طلقتك الليلة ، ما الذى سيحصل ؟ ستكون فضيحة

لن أرضاها لك ، ومصدرا للاقاويل والاشاعات حولك لن
ينضب .. ثم هى صدمة قاسية لوالدتك. وأنت التى أشفقت
عليها من صدمة أخف وأهون !.. اذن ماذا نصنع ؟ فكرى
معى قليلا ...

- أصبت ... ان طلاقى الليلة فضيحة

- فلنبحث عن حل غير هذا ... ابحتى جيدا ...

- ها أنذى أبحث ..

وجلس كل منهما يفكر ، وقد جعل رأسه فى كفيه ..
وأخيرا نهض العريس صائحا :

- وجدت حلا ، ربما كان فيه الخير ، ولكنه يتطلب منك
بعض الصبر ، ومنى بعض القدرة على التمثيل .. ذلك أن
أطلقك بعد شهر أو شهرين ، وفى خلال هذه الفترة أظهار
أمام الناس ، وعلى الأخص أمام والدتك ، انى فظ الخلق
شرس الطباع وانى أسى معاملتك ... بهذا نعدا اعدادا
رفيقا لتحمل يمين الطلاق ... بل قد ينفذ صبرها هى
فتحتك قبل انقضاء المدة على طلب الانفصال ، فاذا تم ذلك
رأت بعدئذ حلمها ومحط أملها فى ذلك الذى اختاره قلبك
... ما رأيك فى هذا الحل ؟

- مدهش ..!

لفظتها وهي تريد أن تكفكف دمعها و « تنف » فلم تجد غير طرف ثوبها.. فأسرع العريس قائلا قبل أن تتمخط فيه :

- انتظري .. انتظري .. خذي منديلي ، ولا توسخي ثوب عرسك ، حافظي عليه للقران الآخر !..

فتناولت منديله وهي تقول :

- انك رجل نبيل .. اني آسفة . ما ذنبك أنت حتى أعكر عليك صفو هذه الليلة ؟ وماذا جنيت أنت حتى تفجع هكذا في عروسك ؟... ولعلك عقلت آمالا كبارا على هذا الزواج ..

فأطرق لحظة .. ثم قال كالمخاطب نفسه :

- لا تذكريني ... أقصد ... لا تعلقى على هذا الأمر أهمية

- اني متألمة لك ...

- لا تتألمي لى .. اني بخير .. انك على كل حال لست مسئولة عما وقع لى .. حظى هكذا .. حقيقة لقد وضعت فى هذا الزواج أملى ، لائى كنت دائما رجلا شحيحا بعواطفه ضنيئا بفؤاده . استغرقتنى حياة العمل ، فلم أعرف

من حياة اللهو الا القليل ، ولم أعط امرأة من نفسى شيئا
نفسيا ... ادخرت كل ما فى قلبى من حب للزوجة التى
هى نصيبي . كنت أتخيلها فى أوقات فراغى وهى الى جانبي ،
وأتخيل ما أناجيهها به من حذب وعطف وحب وحنان ،
كدسته كدنانير البخيل على مر الاعوام من أجلها .. ولكن
القدر أراد أن يصيبني فيما كنزت كما يصيب أحيانا البخلاء
فيما يكتزون .. لأنه يحلو له السخرية ممن يركزون
همهم فى هدف . فيتربص بهم حتى يقتربوا منه ، فيعبث
به بطرف اصبعه ، فاذا جهودهم هباء ..

- كل ذلك بسببي .. أنا مجرمة ..

- لا مطلقا .. لا شأن لك بالأمر ... ان مثلى مثل
ذلك الذى ظل يجمع المال ويدخره ليشتري به عينا ، فلما
تم له ذلك واشترى العين وجدها محجوزا عليها أو مرهونة
لآخر رهنا عقاريا ممتازا لا فكاك منه .. فما ذنب العين فى
هذه الحال ؟ الذنب ذنب الادخار .. والبخل .. وليتني
جعلت شعارى : «انفق ما فى الجيب يأئك ما فى الغيب» ! ..
- ان كلامك يحز فى نفسى كسكين ... لست أدري
ماذا فى امكانى أن أصنع لك .. من يدري ؟ ربما عوضك

القدر عنى خيرا ... وجاءك الغيب بزوجة أحلامك ...
انى لم أكن بك جديرة ...

- هذا لطف منك يا سو ... يا سنية ... سنية هانم ..
اعذرينى . لم أعد أدري كيف أناديك ...

- عجباً .. نادى كما كنت تنادينى منذ لحظة ...

- أمام والدتك بالطبع ... أما ونحن وحدنا ...
فلا حق لى ...

- لماذا ؟

- لم يعد لى حق تدليك ... أنت منذ الآن - كما قلت
لك - أجنبية عنى ، ولا أدري ماذا نصنع الآن ، ووالدتك
فى البيت ، ولا بد لنا من المكث فى حجرة واحدة ...
اسمعى : أنت لك السرير ، وأنا لى الارض .. ها هنا بجوار
الباب فى ذلك الركن البعيد ... هيا انهضى الى فراشك ..
أنت فى أشد الحاجة الى الراحة الليلة ، بعد كل هذه
الاحداث المثيرة لآعصابك

- تنام على الارض ؟!

- لا يوجد وضع آخر

- هذا صحيح ، مع الأسف ، ولكن سامحني .. أرجوك ..
أهكذا أجعل ليلة عرسك على هذه الصورة غير البهيجة !
- مالها ليلة عرسي ! انى راض بها . هل يتاح لكل عريس
مثلها ؟ ثقي أنه سيظل لها دائما فى نفسى ذكرى عزيزة ..
- انك تريد أن تنفى عنى كل مسئولية .. على كل حال
الوقت الآن غير مناسب لمجادلتك .. فلا أعد لك مكانا
مريحا لمبيتك .. فأنت الذى أنهكتك ولا شك هذه المفاجأة
غير السارة ... أرى فوق السرير « مرتبتين » فلا فرش
واحدة منهما على الارض .. وليكن توزيع المكانين بيننا
بالقرعة .. ما رأيك ؟ ...
قال لها مبتسما :

- موافق . انى مطمئن الى سوء حظى

ونهبضت من فورها .. ونهض هو .. فتعاونوا على نقل
احدى حشيتى السرير الى ركن من أركان الحجرة ...
وأخذت هى فى وضع الوسائد وتهيئة ذلك الفراش الارضى ،
حتى فرغت منه ، فطلبت اليه عملة من ذات القرش ، واتفقا
على أن الذى يخرج له الوجه ذو الصورة يظفر بالسرير ..

ورمت بالقطعة النقدية فى الفضاء ، فاذا هى الظافرة ..
فقال لها :

- ألم أقل لك أنى أعرف بختى ؟!

- انى أخطأت الرمى ، فلنعد القرعة من جديد ...

- لا .. لا .. من فضلك .. حافظى على مبدئك :
الصراحة والصدق وعدم الخداع .. لقد كسبت أنت
وخسرت أنا .. فلا محل للمراوغة ولا لزوم «للحمرأة»!
فقبلت على مضض... وخرج من الحجرة الى أن خلعت
ملابسها واندست فى سريرها ، فعاد وخلع ملابسه وأوى
الى فراشه ... ومدت ذراعها البضة المرمية الى زر المصباح
بقربها وهى تقول مستأذنة :

- هل أطفئ النور ؟

- اذا شئت .. وأتمنى لك نوما هنيئا .. ومستقبلا سعيدا
مع من اختاره قلبك .. وانى واثق من أنك أحسنت الاختيار
.. ولو أنك لم تحدثينى عنه ...
- انه ضابط .. ملازم أول ..

- وشاب جميل بالطبع ، ويصغرنى بعشر سنوات على
الأقل فلا جدوى فى منافسة .. ولا أمل فى مقاومة ..

لفظها هامسا وهو يخاطب نفسه ، فسأله :

- ماذا تقول ؟

- لا شيء .. اطفئى النور ... تصبحى على خير ..



مرت الأيام والزوج يمثل الدور المتفق عليه خير تمثيل ، ويشعر حماته برفق أنه ليس الزوج المثالى الذى كانت تتمناه لوحيدتها ... غير أن المشكلة التى استعصت عليه هى مسألة الحجرة المشتركة . إن هذه الحال بينه وبين زوجته « المزيفة » لا يمكن أن تدوم على هذا الوضع .. انه لا يستطيع النوم وهى معه فى غرفة واحدة ، هكذا كأنهما غريبان ، وبينهما حيوان شهوان ، بالحرمان يزأر وبالرغبة يجأر ... انه يحس كأن أنفاسها الحارة تلفح وجهه .. كل حركة منها تطرد النعاس من أجفانه ، اذا سعلت نهض يجرد نفسه من غطاءه ليدثرها به .. واذا نفذ شعاع القمر من النافذة ، قام على أصابعه يتأمل وجهها البديع السابح فى ضوءه ، ثم يسدل بعد ذلك الأستار ، حتى لا يزعجها النور . واذا تقلبت على أحد جنبىها تقلب هو أيضا . واذا نهضت بالليل لحاجة ، تصنع النوم العميق وكنم أنفاسه

المضطربة ، حتى لا تعلم أنه يقظان . انها فتنة دائمة نائمة
فوق سرير .. ولكنها مستيقظة نائرة ساهرة فى جوفه ..
كل شئ منها يقض مضجعه . ويحطم أعصابه وارادته
ويجعله يضرب فى فراشه كأنه ريشة : رائحة جسدها
فى أنفه ، وتنهداتها اللطيفة فى النوم ، وشخيرها الخفيف
الهامس المتقطع ، وطريقتها العجيبة فى نومها، وهى منبطحة
على وجهها ، بشعرها المتدلى ونحرها العارى ووسادتها التى
تضغطها وتضمها فى حضنها .. انه لعذاب لا يستطيع أن
يتحملة رجل من لحم ودم .. انه تحمل ذلك ليلة وليلتين
وثلاثا وأربع .. وكاد ينقضى الاسبوع .. ولكن المضى فى
ذلك لفوق الطاقة والاحتمال ... كيف يصنع ؟ والبيت
ليس فيه للنوم غير المكتب أو البهو أو قاعة حجرتهما هذه
ثم حجرة أخرى تشغلها حماته ، أبييت فى قاعة الطعام ؟
وما عسى أن يقول الخدم والحماة فى هذا التصرف من عريس ؟
وحماته لن تفارقهما أبدا . اذ ليس لها غير ابنتها ملاذ ..
لم ير الا أن يصبر صبرا جميلا . وأن يسرع فى انهاء
مهمته . وجعل يشتد يوما بعد يوم فى اظهار غلظ طباعه ..
وحماته تتغاضى حرصا على هناء ابنتها . وابنتها لم تكن متقنة
لتمثيل دورها .. فما كان يبدو عليها غضب من طباع زوجها

« الموهومة » . ذلك انها كانت تعلم انه اذا خلا بها فى الليل جعل يعتذر لها عن اساءات النهار .. و انتهى بها الامر أن صارت تسر لهذا اللون من التمثيل كأنها طفلة وتكاد تضحك بدل أن تغضب .. وهو يغمزها بعينه ، ويحثها على التظاهر بالتقطيب .. بل كانت تغلط أحيانا وتدافع عنه أمام أمها أو الزائرين اذا وجه الى طبعه نقد .. فتقلت من بين شفيتها كلمة « والله مظلوم ! »

الى أن جاء يوم خطر فيه للزوج خاطر وجد فيه العلاج لسهاد الليل . ذلك أن يلجأ الى منزل صديق قديم عزب ، يرتاح عنده وينام من العصر حتى المساء . وأخبر حماته وزوجته أن أعمالا طرأت ترغمه على هذه الغيبة .. وصار لا يعود الا فى العاشرة . وأحيانا فى منتصف الليل . ولا ضير عليه فى ذلك ، فهذا يمكن أن يدخل ضمن برنامج التمثيل لدوره البغيض

وعاد ذات ليلة فى الثانية صباحا .. فقد دعى الى عيد ميلاد صديق ، وكانت ليلة بريئة فيها طرب وغناء ومزاح . فرأى لدهشته ، زوجته تستقبله فى سريرها مستيقظة مقبلة .. لا تقطيب تمثيل .. بل تقطيب غضب حقيقى . فلما

أبدى لها العذر وبين لها السبب . سكنت غير مقتنعه ولا راضية ..

ومرت أسابيع ، فإذا هى تطلب اليه يوما أن يذهب بها الى السينما .. ورأى حماته تجذ الفكرة قائلة :

- نعم .. اذهب يا ابنى بعروسك وتنزها معا كما يفعل كل « العرسان » !

فرأى من واجبه أن يكون فظا سىء الادب فقال :

- ما كان ينقصنى الا هذا : أنا أخرج مع بنتك الى السينما؟! ..

- وما المانع ؟ أليست ظريفة جميلة ؟ انها عروس تشرف أحسن عريس !

- هذا رأيك أنت وحدك ..

- عيب يا ابنى

- على كل حال ، ليس عندى وقت أضيعه فى نزهة بنتك وهنا احمر وجه الزوجة غضبا وقالت :

- وعندك وقت تضيعه فى السهر لما بعد منتصف الليل؟! - هذا شأنى

- لن أخرج معك فى حياتى .. أبدا .. أبدا ..

وتركته وانصرفت مسرعة الى حجرتها .. وأطرقت
الحماة أسفا وألما .. أما هو فقد خرج الى شأنه ، كما اعتاد
أن يصنع فى كل يوم .. ولم يعلق بنفسه شئ مما حدث ،
كالمثل بعد تركه خشبة المسرح ، وقد ضرب عليها وطعن
وجرح .. وعاد فى المساء فوجد زوجته فى سريرها ،
ووجهها فى وسادتها وقد بللتها بدموعها .. ولم تتحرك
لدخوله .. وحسبها هو نائمة ، لولا شهيق خافت ، ونشيج
غير مرتفع نبهه .. فذهب اليها يقول :

— مالك ؟ مالك ؟

فرفعت رأسها من فوق الوسادة ، والتفتت اليه وخيوط
العبرات تلمع على خدها .. ولم تجب .. فقال لها بحنان :
— لم أرك تبكين هكذا منذ زمن بعيد .. أهو أيضا ؟

— من هو ؟

— الملازم ..

— أى ملازم ؟ آه ..

لفظتها مستدركة ، ثم قالت سريعا بنبرة عتاب مرة :

— لا .. لا تحاول التهرب من اساءتك .. بل اساءاتك
المتكررة .. انى لا أستطيع أن أحتمل منك أكثر مما تحملت

هذا كثير على .. ما من امرأة تتحمل هذا من رجل !

- ماذا فعلت يا ناس ؟ ..

- أنتكر أنك آلمتني اليوم ؟

- تمثيل طبعا ...

- هذه حجة بالية .. انك الآن صرت تجعل من هذا

التمثيل ستارا تخفى وراءه كرهك لى ..

- سبحان الله !

- انك الآن أمسيت تتحاشى رؤيتى أطول وقت مستطاع

أتكر ذلك ؟ انك تنصرف مبكرا فى الصباح وأنا نائمة ولا

تعود الا فى الغداء .. ثم تخرج فلا أراك الا فى العاشرة

أو الحادية عشرة أو منتصف الليل .. انى أسألك وأسأل

نفسى : ماذا فى وجهى ينفرك أو فى شخصى يبعدك ؟ ..

- أهذا معقول ؟

- أتقسم أنك لا تنفر منى ؟

- أقسم أن هذا لم يخطر لى على بال

- لقد كنت ظريفا معى فى أول عهدنا .. شديد العطف

على .. كثير الحنان ..

- وأنا الآن كما كنت .. لم أتعير
- نعم .. أحيانا ونحن وحدنا فى هذه الحجرة تتلطف معى ، ولكنك أمام الناس ..
- بالطبع .. أمام الناس يجب أن أكون غير لطيف .. طبقا للخطة
- أى خطة !.. أتعرف أنها أمتست لعبة سمجة ؟!
- ولكن !.. هذا لا بد منه ..
- كان يسرنى تمثيلك أول الأمر . ولكنى الآن أراك جادا فيه ، ويبدو لى كأنه حقيقة
- كثرة الممارسة تعلم الاتقان
- كنت أفضل أن لا تتقن هذا الدور .. حتى لا يخالجنى شك .. كل كلمة منك الآن تطعننى حقيقة ، وتدمينى ..
- يجب أن تحذر قليلا .. لم يعد الأمر فى نظرى تمثيلا ..
- لقد اختفت كل لفظة رقيقة .. لماذا لا يمتد اتقان دورك أيضا الى ما يسرنى ؟ كنت تقول لى أمام والدتى «يا سونة» وأحيانا .. «يا سوتى» ماذا حدث ؟ لماذا لا أسمع هذا النداء منك اليوم ؟
- حصل تغيير فى الخطة . نظرا لضيق الوقت ..

- ضيق الوقت ؟

- ألا تعرفين ؟ نحن اليوم فى آخر أسبوعنا السابع ..
ولم يبق أمامنا سوى بضعة أيام لنفترق ..

- بهذه السرعة ؟ أوافق أنك لم تخطئ ؟

- اطمئنى ! انى لا أغلط فى الحساب .. وكل يوم يمر
أعده بكل دقة ..

- تعد الايام لتعثر رقبتك !

- أنا ؟!

- لم يبق اذن سوى بضعة أيام لنفترق ! .. ما أشد
سرورك ! .. حدثنى ماذا ستفعل بعد ذلك اليوم ؟ وأين
ستسكن ؟ ..

- لا أدرى . لم أضع بعد برنامجا لحياتى المستقبل

- كم أتمنى أن تكون سعيدا فى حياتك المستقبلية . ترى
هل ستذكر بالخير أو بالشر أيامى معك ؟

- بالخير طبعاً

- وهل سيكون شخصى عزيزا عليك ! ..

- دائماً ..

- أشكرك ..

- نامى الآن هادئة البال .. لقد تأخرت عن موعد نومك ..

وجذب الأغطية ، وغطاها جيدا ، ومست كفه وجهها عفوا ، فمرغت خدها فى يده ، كأنها قطعة تتمسح فى صاحبها وأحس دفء ذلك الحد المخملى الأسيل ، فسحب يده برفق .. وأطفأ النور فى سكون ، وذهب الى فراشه صامتا ..



مرت الأيام الباقية مرا سريعا ، فى جو عجيب رهيب .
فهى قليلة الكلام نادرة الابتسام ، بادية الكآبة . وكأن عرج وجهها من الحزن المكتوم سحابة .. تجبيه اذا تحدث بنظرة فيها أشياء ، يفهمها ويعلمها ويهتز لها فى أعماقه كأنها قصيدة بليغة . وقد شقت عليه مهمته ، فجعل يتحامل على نفسه ليستطيع أن يمعن فى اساءته لها أمام والدتها ..

وتهيأت أخيرا الظروف التى يستطيع فيها اصدار ذلك القرار الحاسم ، دون أن تتأثر الأم كثيرا أو تخدش سمعة الزوجة

جاءت الليلة الاخيرة . فتعمد الزوج أن يعود فى الهزيع الاخير من الليل ، حتى يكون التعب قد أرغمها على النوم ،

ولكنه وجدها ساهرة مستلقية على ظهرها فوق سريرها ،
وضوء المصباح على وجهها الشاحب ، وكأنها تشخص
بصرها الى السقف .. فقال لها :

- عجبا !.. ألم تنعسى بعد !

- كنت أنتظر عودتك

- لو كنت أعلم ذلك لجئتك مبذرا

- انك تعلم ذلك

- ما هذه اللهجة المكتسبة والوجه الحزين ؟

- ليس هناك ما يدعوني الى الفرح والاعتباط

- على النقيض ... كان يجب الليلة أن تكونى مسرورة

مرحة . غدا تكونين حرة ، وتستطيعين الزواج ممن تحبين

- انك تعبر عن احساسك أنت

- لا شأن لك باحساسى من فضلك ، انى منذ خلوت بك

فى هذه الحجرة ، فى ليلتنا الاولى ، وأنا لا أهتم الا بشعورك
أنت وحدك وموقفك ومشكلتك وقد عاهدتك على ذلك ..

وأظن انى قد بررت بالوعد !

- نعم . لقد كنت رجلا شريفا

- الحمد لله

ووقع بينهما صمت عميق ... واضطربت في شفتيها
كلمات ، لم تجرؤ على اخراجها .. وأخيرا تشجعت وقالت:

- اذن أزفت الساعة ..

- أعتقد ذلك ..

- هل .. هل تحب أن تعرف شعورى الآن .. أو
ترى من مصلحتك أن تتجاهله ؟ .. ثق أنه يشق على نفسى
اخراجك .. أظن من الخير لك أن أسحب كلامى ، ولا
أسألك شيئا . وليكن ما فى قلبى مكتوما . ولا يجب أن أطمع
فى نبلك أكثر من ذلك ..

- افصحى وكونى صريحة دائما

- اذا طلقتنى فانى أموت

قالتها سريعا ، وأخفت وجهها فى كفيها . ولم يكن فى
صدقها خليجة شك . وكان صوتها صوت الصدق نفسه
لو أنه أعطى لسانا .. فجلس زوجها على حافة سريرها ،
وأمسك بيدها وقال :

- اسمعى يا .. سنية ! من الصعب على أن أنسى أنك

أحببت شخصا آخر .. ذلك الحب الذى رأيت بعينى آثاره
فى وجهك ليلة عرسى ! ..

- أعلم أنك لن تغفر لى ذلك . وأحب أن تعاقبنى العقاب
الذى تراه ، ولكنى أرجوك أن تصدقنى اذا قلت لك أن
عواطفى نحو ذلك الشخص كانت عواطف طفلة لم تعرف
بعد ما هو الحب !

- انى لا أكذبك مطلقا .. غير انى واثق انك تقدرين
موقفى ..

- نعم ، أقدر موقفك .. وأدرك ما يجول بخاطرك ..
وأعرف السؤال الذى يمنعك أدبك من أن تسألنى اياه .
ولكن أقسم لك أنه لم تكن بينى وبين ذلك الشخص علاقة
تخجل أو صلة تشين .. كل ما فى الأمر أنه كان جارنا
يوم كنا نقطن فى حى « العباسية » وكنت ككل فتاة يهرها
ذلك الزى العسكرى والقوام المشوق ، وكان يحينى
وأحييه كلما تقابلنا فى الطريق ، وكان يحدثنى فى التليفون
.. ولكنى لم أخرج معه قط .. ولم نجتمع على انفراد ..
أؤكد لك ذلك وأحلف بكل يمين وسيأتى الوقت الذى
تتحقق فيه من صدق قولى ..

- انى أرى الصدق فى عينك . وهذا يكفينى . ولكنى
أخاف من أمر آخر .. حقيقة شعورك نحوى .. هل أنت
واثقة ؟ ..

- كل الثقة

- كيف تقطين بذلك ؟

- انك ترتاب ، لأنك لا تعرف الحب . ولكنى أخبرك
ما هو .. انه ليس فى تلك البهرة العاجلة التى تخطف أبصارنا ،
ولا الهزة المفاجئة التى ترج قلوبنا .. ولكنه شىء يتكون
على مهل كالجنين . أنه ينسج فتلة فتلة ، ويربط عقدة عقدة ،
كشغل « التريكو » .. هكذا يتوثق الرباط بين قلبين ..
مهما تشك فى قولى .. فانى لن أستطيع التخلى أبدا عنك
.. انك ضرورى لى ... بكل حسناتك وسيئاتك ...
انك لازم لى ، بمجرد وجودك فى هذه الحجرة .. أسمع
سعالك ، ويؤرقنى غيابك .. وتسرنى عودتك ، ولو بعد
منتصف الليل ، ويضحكنى بحثك فى الصباح عن جواربك
تحت السجاجيد وعن حذائك تحت الأمتعة ، ووجهك
الملطخ بالصابون وأنت تحلق .. وجرحك لوجهك بالموسى ،
ونسيانك مندليك قبل خروجك .. واعتمادك على لاذكرك
بمحفظتك الملقاة على منضدتى .. وابتمامك الساذجة

اللذيذة ، وأنا أتمطى فى الصباح وأتأهب ، وغضبك المقتل
وصياحك التمثيلي .. أمام والدتي ، وكلامك لى عن عملك
كأننى أفهم دقائقه . ثم تذكر فجأة أنى لست حقيقة لك
فتبدى معى التكلف .. ثم تنسى فتتسبط وتدلنى وتلاطفنى
.. وتطرى ثوبى الجديد ، ثم عادتك فى الطعام عرفتھا
وتعلمتها .. فالحبز يجب أن يسخن ويحمر ، والأرز
يؤكل مع الحضر .. حتى نومك .. عرفت فى أى ساعة
من الليل تكون على جنبك الأيسر .. كيف تريد أن أتخلى
عن كل هذا ؟ .. تلك تفاهات صغيرة ، ولكنها هى الحلقات
الدقيقة الوثيقة فى « تريكو » الحب الزوجى ..

- « تريكو » ! .. يا له من تعبير ! لا تنسى الابرة الطويلة

من فضلك ! انها خطرة ، وهى فى يدك أنت !

فضحكت ضحكة رقيقة .. ثم قالت بنبرة جد :

- لا تخش شيئاً منى أبدا ...

فأطرق ملياً .. ثم رفع رأسه وقال :

- سونه .. دعى لى وقتاً للتفكير !

- لم أسمع منك لفظ « سونه » منذ دهور ! .. لم كل

هذا الخوف منى ؟ ..

- ليس منك .. ولكن على كنوزى . كنوز البخيل التى
ادخرها فى قلبه . نامى يا سونه الآن .. وفى الصباح نفكر
وقد يأتى الفرج ..

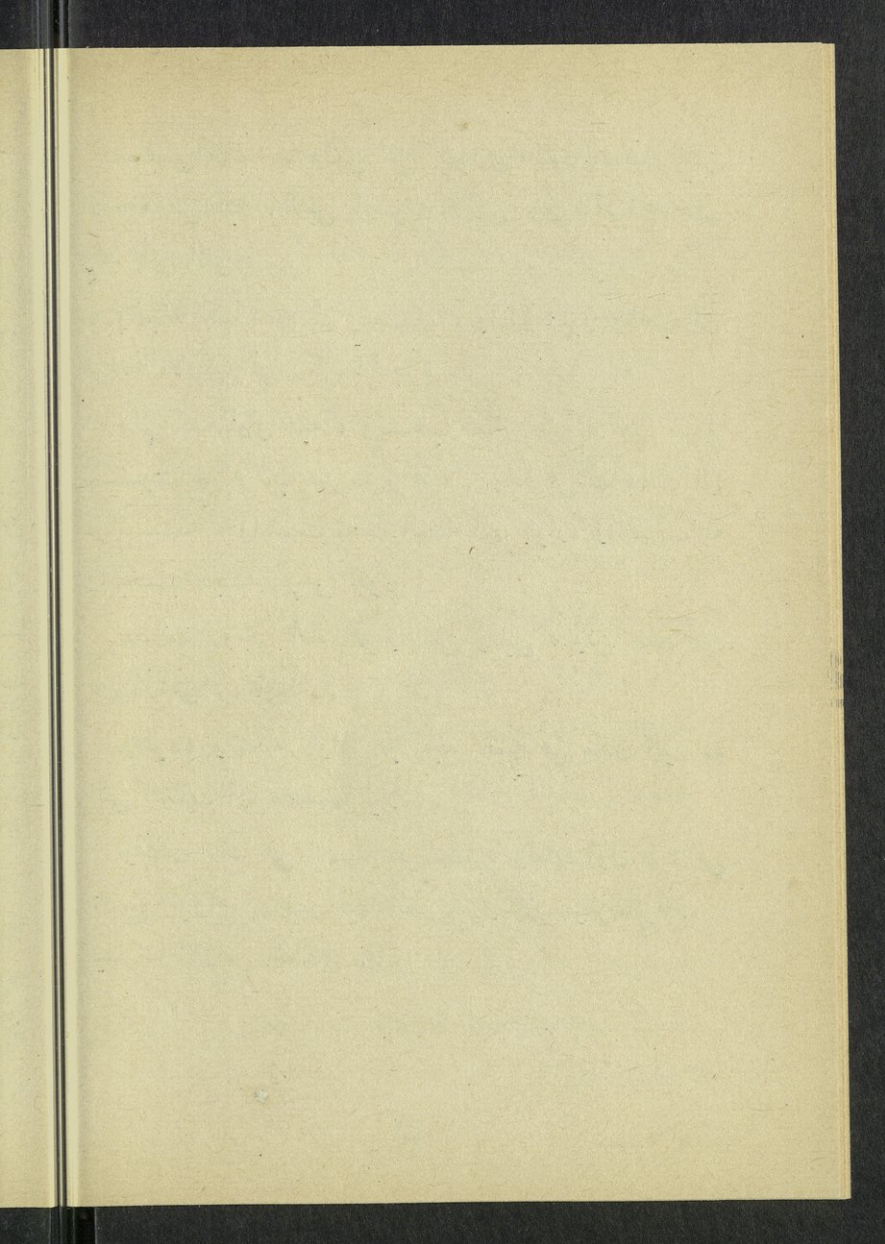
وغطاها كما اعتاد أن يفعل ، وأطفأ النور وذهب الى
فراشه الارضى فى ركن الحجرة ..

ولم يكد يأوى اليه ، ويسحب غطاءه عليه ، حتى سمع
صوت سونه تثب من سريرها .. واذا هى قد دلفت الى
فراشه ، واندست تحت الغطاء الى جواره والتصقت به
والتحمت بجسده وهى تقول :

- أنت زوجى أمام الله والناس وقلبى ، ولن تفلت من
بين ذراعى .. أبدا ..

وطوقته وضمته .. واذا هو يجد نفسه فى مكان الوسادة
التى اعتادت أن تحتضنها ليلا ..

وكانت تلك هى ليلة عرسهما ، ولعلها أول مرة فى
تاريخ الزواج يهجر فيها العروسان سرير الزفاف ،
ليفترشا الارض متعانقين ...



طریق الفردوس

— سنذهب الى الفردوس ...

— بعد عمر طويل .. ان شاء الله !

— الآن ...

قالها صاحبى المرح ، وهو يدخل بى ذلك المساء حانة من حانات القاهرة ، كتب على بابها بلون أخضر «بار الفردوس» وأجلسنى من الفور وجلس الى مائدة ، يبدو أنها محجوزة له ، موقوفة عليه ... وأدار بصره فى المكان وحيا بنظرة صاحب البار واخوانه ، وبابتسامة حور الحان وولدانه .. وصفق طالبا الشراب وهو يتلو :

— قال الله تعالى : وما الحياة الدنيا الا متاع ...

— أكمل الآية من فضلك ...

— لم يتسع فؤادى لأكتر من هذه الجملة ...

وأقبل الساقى بالاقداح ، وأراد صاحبى أن يقدم الى قدحا ، فقلت له :

- ذنوبى قد فاضت بها كأسى فلا حاجة بى أن أزيد عليها
قدح خمر .. اذا أردت أن تكرمنى فاطلب لى عشاء ! ..
فأذعن لرغبتى ... وطلب لى الطعام ، فطفقت ألتهم ،
وجعل هو يرشف من كأسه .. ويقول :

- يعجبنى أن يعرف الانسان أن له ذنوبا ... اذا عرفنا
ذنوبنا عرفنا حدودنا ... واذا عرفنا حدودنا لزمناها وأبينا
أن نتعدها .. وهأتذا قد رفضت أن تتعدى حدودك !..
سأقص عليك قصة ثق أنها ليست من وحى شرابى ، لقد
وقعت بالفعل وفى هذا المكان بالذات ... واذا لم تصدقنى
فسل كل هؤلاء الحاضرين .. ولكنك تعرف انى لم أكذب
عليك يوما ..

فلم يستطع فى المملوء بالطعام أن يجيب ... فاكثفت
بهز رأسى علامة المصادقة .. فمضى الصديق يروى قصته :

- لست أذكر هل سبق لى أن حدثك عن ذلك الشيخ
الصالح الذى يتبرك به أهل بلدنا فى الريف ، الشيخ
عliš .. رجل ولد بعينين فى رأسه ، ولكنه لم ير بهما
غير السماء .. ويبدو لنا أنه منذ نزل من بطن أمه، وضعوه
فى اناء من زجاج وختموا عليه ، حتى لا ينفذ اليه هواء

البشر ، ولا تنسل اليه جرثومة من جرائم الشر... رجل لا يعرف ما هو الذنب ، ولا السيئة ولا الزلة ولا المعصية... ما كنا نبصره الا ساجدا أو هائما في ملكوت الله ، لا يفتن الى نفسه ولا الى من حوله... ولا يفرق بين الناس والهوام... لم يؤذ انسانا ولا بعوضة ، ولا يملك من دنياه غير مسبحة من حصي ، وغير موسى يحلق بها شعر رأسه ، وغير عمامته العتيقة ، وأظماره المهملة ، ولحيته المرسلة... هكذا عاش ، يأكل من عشب الارض أحيانا كأنه دابة ، ويقضم ما يلقي في حجره أحيانا من كسرات المحسنين على غفلة منه أو سهوة ، فهو لا يسأل أحدا شيئا... ولا يطلب الى الدنيا متاعا... الى أن مات الشيخ ذات يوم ولم يبلغ الأربعين... وكنت بالمصادفة في الريف ، وأبصرته بعيني مع غيرة من الناس ، وهو ملقى في مكانه ، مسجى على الغبراء ، وقد طرحت عنه عمامته فبدا رأسه الحليق ، كالصخرة اللامعة الملساء ، وسقطت الى جانبه المسبحة ، وظهرت من حزامه يد الموسى... وسكنت حركة لحيته التي ما كانت تهتز الا لذكر الله... وهبطت على الناس رحمة به ، فأجمعوا على أن ينوا عليه ضريحا... وما تركت الريف حتى كان الضريح قائما على جثمان الشيخ عlish ، وقد ساهمت

بنصيبى فى اقامته ، وقلبى جياش بالتأثر ، ونفسى فياضة
بالخشوع ... وعدت الى القاهرة ، وعاد الى ضعفى ، قاتله
الله ... وجذبتنى قدمائى الى مكائى المألوف من هذه الحانة
.. فما نحن الا بشر ، لم يكتب لنا السمو على أنفسنا غير
لحظات .. ومرت أيام ... واذا بى أسمع جلبة من مكائى
هذا ، فاستدرت فأبصرت على هذه المائدة من خلفى شيخا
رث الهيئة ، قد أحاط به خدم المحل ، يحاورونه ويحرجونه
ويفهمونه أن الموضع ليس موضعه ، وأن من الخير له أن
ينصرف بالحسنى ، فتبعت المحاورة ، ثم سددت الى الشيخ
البصر .. ويا لهول ما رأيت ! .. كلا .. انه ليس الوهم
ولا السكر ولا الجنون .. بل هو الشيخ عlish
بشخصه ولحمه ودمه وعمامة وأسماله ومسبحته وموساه
... وفركت عينى وطلبت فنجانا من قهوة ثقيلة أستعين بها
على اليقظة .. ثم سألت صاحب الحانة أن يمتحن عقلى .
وطلبت الى غانية من حسان المكان أن تفحص صحوى ، فنظرا
الى برية أول الأمر ، ولكنهما خضعا لاصرارى ، ولم
أتركهما حتى أقرأ واعترفا انى ثائب الى رشدى ، مالك
لصوابى .. فتقدمت الى الشيخ ، ونحيت عنه الخدم ، وقلت
له بصوت متهدج :

— ما اسمك أيها الشيخ ؟ ..

فما راعنى الا قوله ، بجد وصراحة وثبات :

— عlish !

وكان الصوت صوته ، والنبرة نبرته ، فكدت أجن ،
ومضيت أستفسر منه :

— الشيخ عlish من بلدة ..

فذكر لى اسم البلدة والقرية من ذلك الريف بما لم يدع
فى نفسى ذرة من شك ..

— ساكن الضريح الذى ساهمت فى ..

— نعم ..

— وكيف تركت ضريحك وجئت ها هنا ؟ .. لقد أبصرتك
بعينى رأسى وأنت ميت ..

— نعم .. لقد مت حقاً .. وأردت أن أدخل الفردوس
ولكنهم طردونى !

— الفردوس ؟! .. أيمكن أن يغلط الانسان الى هذا
الحد ؟ ألا تستطيع أيها الشيخ الورع أن تفرق بين الفردوس
الذى فى السماء ، و « بار » الفردوس الذى فى شارع عماد
الدين ؟!

- لا .. لم يحصل منى غلط ! لقد صعدت فعلا الى
السماء ، وطرقت باب الجنة ، فمنعني حارسها من الدخول ،
وأعلن الى أنى لست من أهلها ، ونصح لى أن أطرق باب
النار ، فصعدت بالأمر دهشا حزينا وطرقت باب النار ،
فمنعني حارسها أيضا من الدخول ، وأعلن الى انى لست
كذلك من أهلها .. فحرت فى أمرى ، وصحت شاكيا
سائلا الهداية ، طالبا البت فى مصيرى ، وأخيرا قالوا لى :
ليس فى السماء موضع أوضع فيه .. لان الدنيا معركة بين
الخير والشر ، ومبارزة بين الفضيلة والرذيلة تقوم فى نفس
الانسان ، فاذا انتصر الخير دخل الانسان مملكة الخير وهى
الفردوس ، واذا انتصر الشر دخل مملكة الشر وهى الجحيم
.. أما أنا فلم تقم فى نفسى معركة ، ولم يحدث انتصار ،
ولم أواجه الشر لأغالبه .. فأنا فى نظرهم كالفار من
الميدان ، أو الهارب من الامتحان ، فكيف يجوز لهم أن
يشيئوني أو يعاقبوني ، وأنا لم أعرض نفسى لاحداث الحياة،
حتى يظهر معدنها الخير من معدنها الشرير ؟ .. انى فى
نظرهم غشاش مخادع ، لجأ الى أيسر السبل لينال الجائزة
دون أن يواجه الخطر !. وانهى أمرهم الى اعلان هذا
القرار فى أمرى : وهو الغاء حياتى الاولى واعتبارها كأن لم

تكن ، وطردى من السماء ، لأعيش مرة أخرى على
الارض ، بنفس جسمى وروحى وكيانى الاول ، على أن
أقدم للامتحان العسير وأواجه الشر وأنزل الرذيلة ليعرفوا
بعد ذلك من أمرى ما ظهر وما استتر .. وألقوا بى الى
الدنيا من جديد بعين ثيابى وهيتى ، ف وقعت على القاهرة ،
وأنا لم أزل فريسة حزنى ويأسى من ضياع جنتى ، أردد
كالمجنون عن غير وعى : « الفردوس ... الفردوس ! »
فدفعنى أحد المارة الى هذا المكان قائلاً لى : « ها هو ذا
الفردوس ! » فدخلت ، واذا بى أجده فيه أيضاً من يطردنى
منه .. حتى أنقذتنى أنت أيها الرجل الطيب ..

عجبت لقصة الشيخ ، وأخذتنى به شفقة .. وقلت له :
- لا عليك أيها الشيخ المبروك . ما حدث لك لا يحدث
لأى انسان . انما هى كرامة من كرامات أولياء الله .. أن
يسمح لبشر أن يعيش مرتين فى هذه الدنيا ...

ثم أنهضته برفق وأجلسته باحترام الى مائدتى ، وقلت له :
- والآن ، ماذا تنوى أن تصنع فى حياتك الجديدة ؟ ..
- أواجه الشر .. اذا أردت أن تخدمنى أيها الرجل
الطيب فدلنى أين أجده الشر ..

فضحكت قليلا ، وقلت :

- هذا شيء بسيط .. وان كنت شخصا لست بالدليل
البارع في هذا السبيل .. ولكنى أستطيع على كل حال أن
أعرفك بالشر في أهون مظاهره ...

وصفقت للساقى فحضر .. فقلت له :

- زجاجة شمانيا لفضيلة الشيخ !..

فحملق « الجرسون » في وجهى ثم تنبه وأسرع يلبى
الأمر ولم يلبث أن عاد بالزجاجة غارقة في اناء الثلج، وفض
خاتمها الفضى ، فانطلقت السدادة كأنها مدفع .. نبه الينا
حسان الحانة . فصوبن الينا نظرات دهشة مذهولة ، أتبعنها
ببسمات ثم ضحكات خافتة مكتومة لهذا المنظر الفريد في
الدهر ..

- فى صحتك !...!

ورفعت كأسى وأشرت اليه أن يرفع كأسه .. فرفعها
بىد مرتجفة ورشف منها بحذر كأنما يرشف سما .. ولم
يدر بخلدى قط أنى جرعه حقا سما سيسرى فى حياته
الجديدة ، ويفعل بها الأفاعيل .. ولم أفطن للأمر الا بعد
أن جرع الشيخ كأسه الثالثة .. وثل واثقل وانقلب يغنى

بالتواشيح الدينية والمدائح النبوية ، ثم يسبح بأسماء الله على
مسبحته بصوت السكرارى .. وهذا كل ما يعرف طبعا من
غناء دفعته اليه الشهوة .. فبدلت جهدا فى اسكاته ، خشية
الفضيحة .. وصيانة لمقام الدين ونحن فى هذا المجال ..
فاقتنع الشيخ ، وترك الغناء بهذه الاشياء المقدسة .. وتلفت
ذات اليمين وذات اليسار فلمح غانية ظريفة فتنحى وقال :
- أعطني هذه الحورية !..

فأومأت اليها ، فاقبلت وجلست وأوصيتها بمداعبة الشيخ ،
فداعبته ولاعبته حتى ذهبت ببقية لبه .. وخطر له وهو
فى أوج انشراحه وترنحه أن يسألنى عن اسمى ، فراوغته ،
فقال :

- ولماذا أسألك ؟ أوتظننى أجملك ؟

- أتعرفنى ؟

- طبعا .. أنت رضوان .. الذى أدخلنى هذا الفردوس
بحوره العين !..

وقهقه ضاحكا ، ومال على الغانية يضمها .. وانتصف
الليل ثم دقت الساعة الواحدة ، وأقفرت الحانة ، وأراد
صاحبها أن يغلقها . وهنا راحت السكره وجاءت الفكرة ..

ماذا أنا صانع بهذا الشيخ صاحب الكرامات ؟ ... وأين يكون مقره ومقامه ؟ ... ليس من المعقول أن أسحبه معي أو أذهب به الى منزلي .. وليس من المعقول أيضا أن أردّه الى ريفه وأعيده الى ضريحه ! .. ما الحل ؟ أين يبيت ليله ؟ .. وتأملت الأمر مليا .. ثم قلت في نفسي : « ولماذا أتعب نفسي به ؟ ما شأنى بهذا الشيخ ولى الله ؟ . هل عيّننى أحد ولى أمره ؟ .. وهل قذفوا به من السماء لأحمّله أنا على ظهري ؟ .. »

وهداني الله الى وسيلة .. أن أنقذ الغانية مبلغا لتخرجني من المأزق ، وتبقيه معها ريثما أنصرف بسلام .. ولها بعد ذلك أن تؤويه أو تلقيه ..

وتم لى ما دبّرت ، وأنقذتني الغانية الكريمة ، وانصرفت الى بيتى ، وانقطعت عن هذه الحانة أسبوعا ، خشية أن أصادف الشيخ ، فيتعلق بى ويرغمنى على مصاحبته ومسامرته وتحمل تبعته وشأنه وهمه ومستقبله ..

ومضى الاسبوع فلم أجازف بالذهاب .. وآثرت الاتصال بصاحب الحانة بالتليفون .. فما كاد يسمع صوتى حتى صاح بى قائلا :

- ما هذه المصيبة التى نزلت علينا؟!

- أى مصيبة؟

- صاحبك الشيخ... انه لا يريد أن يترك المحل لا ليلا ولا نهارا .. وكلما ناقشناه صاح فينا : لن أذهب أبدا ..
المؤمن لا يطرد من الفردوس مرتين !! ..
- وماذا صنعتم به؟

- لا شيء .. صنعنا له صندوقا لمسح الاحذية ، وحلقنا له ذقنه ، وألبسناه جلبابا ... وألحقناه بخدمة المحل، ينظفه بالنهار ، ويلمع أحذية الزبائن بالليل ..!
- فكرة نيرة جدا ..

قلتها بكل اخلاص ، وكل اعجاب .. ولكن هذا لم يمنعنى من تعمد الانقطاع عن الحانة زمنا آخر ، حتى يلتصق الشيخ عlish بصفته الجديدة تمام الالتصاق ، وينسى الليلة المعهودة تمام النسيان ، فلا يلحقنى من لقياء متاعب ...



ومرت أعوام ثلاثة .. دون أن أضع قدمى فى تلك الحانة .. لا تعمدا بل طاعة لأمر القدر .. أو قل أمر

الحكومة ، فقد دس لى الحاسدون النمامون لدى رئيسى
الجديد « الغشيم » اللثيم ، واتهمونى ظلما بأننى قليل العمل
كثير الكسل ، مدمن على السكر والعريضة وارتياذ الحانات
.. فما راعنى ذات صباح الا أمر من الوزارة بنقلى الى
أقصى الصعيد .. فمكنت هناك الى أن أذن الله والمساعى
المثمرة بعودتى

فما أن استقر بى الحال فى عملى الجديد بالمصلحة ، حتى
شعرت بالحنين الى حياتى الماضية .. ونشطت ذات مساء
أقصد هذه الحانة ، وكنت قد نسيت الشيخ عlish وما جرى
له بالتمام .. فدخلت وأجلت النظر فى المكان ، فلم أجد
شيئا على حاله القديم .. كل شيء قد تغير : مائدتى المختارة ،
والغانيات والساقون و « البارمان » ، وحتى مدير المحل ..
لم يبق شيء كما كان سوى اسم الحانة ، فهو هو دائما لم
يتغير : « بار الفردوس » ! ..

وقفت لحظة حائرا لا أدرى أين أجلس .. حتى لمحت
غاية من بنات الهوى ، قد اعتلت البار .. وهى بمفردها
تدخن ، والدخان مغميم حول وجهها الابيض المستدير كأنه
السحاب حول قمر .. فاتجهت اليها ، ووقفت بجوارها

وطلبت لها كأساً ولى أخرى ، وأخذت أغازلها بكلمات
محفوظة مما يناسب المقام .. الى أن قطع الحديث ماسح
أحذية ، يهمس قربي : « تمسح يا بك ! » ... فارتجفت
ونظرت اليه ، وتذكرت فجأة الشيخ عlish .. وقلت فى
نفسى : ماذا أنا فاعل لو ظهر الشيخ بصندوقه ، وماذا أنا
قائل لو جذب حذاءى ليمسحه ؟ أأدفعه اليه ، أم آباه عليه
.. ترفقا به واحتراما له ؟!

ورفعت الغانية قدحها الى شفتيها ، وهى تنظر الى باب
الحانة قائلة لى بقلق :

- لن أقف طويلا معك... انى أخاف أن يحضر فيرانى
.. انه شديد الغيرة !..

- عمن تتكلمين ؟

- علوى .. علوى بك !..

- علوى بك !.. من هذا ؟..

فظهر على وجهها الاستغراب ، والتفتت تجدد فى وجهى
وهى تقول :

- عجباً !.. ألم تسمع بهذا الاسم ؟ كل شارع عماد

الدين يعرف من هو علوى !.. يظهر انها أول مرة تدخل فيها البارات والكباريهات ..

- حقا .. منذ أكثر من ثلاثة أعوام !..

- لقد اقترب موعد مجيئه .. أنصحك أن تباعد عني بمجرد اشارتي لك بالابتعاد .. والا فأنا لست مسئولة عن منخارك أو أذنيك اذا أطاح بها حد الموسى !..
- يا مغيث !..

قلتها هامسا مرتعدا .. وأنا أنظر الى الباب .. ثم خطر لى أن أبتعد بكأسى عن المرأة منذ الساعة ، دون انتظار للمقدر والله يغفينا عن قربها المحفوف بالمخاطر .. ولكنى خشيت أن أبذو على هذا الجبن أمام امرأة ، لعلها ما قصدت الا العبث بى والمزاح معى ... وتجلدت قليلا ، واستأنفت الحديث والمغازلة .. واذا هى فجأة تلتفت الى الباب ، كالقطة التى أحست بغريزتها حركة .. ثم أدارت لى ظهرها، ونأت عني بقدها .. فأدركت أن صاحبها قد حضر .. ولقد شعرت بالفعل كأن الحانة كلها قد مستها شرارة كهرباء .. فقد ساد بغته صمت لدخول ذلك الرجل ، شمل الحاضرين من زبائن وساقين الى مدير المحل الجالس فوق المنصة .. فرفعت عيني بحذر وأدب أفحص ذلك الذى يسمونه

« علوى » .. فرأيت رجلا أنيق الملبس ، خفيف الشارب ، لامع الشعر يتضوع منه عطر الكلونيا الثمين .. وخاطب الرجل بلهجة الأثر « البارمان » فخيل الى أننى أعرف هذا الصوت ، واحتلت لأنظر الى وجهه مليا .. فاذا الدهش يعقد لسانى : لم يكن علوى بك هذا غير الشيخ عlish فى قالب جديد ..!

ولم أدر ماذا أصنع عندئذ .. هل أحادثه ؟ هل أنسحب من المكان دون أن أشعره بوجودى ؟ .. وتساءلت : أترضيه مقابلتى اليوم أم تزعجه ؟ .. ليس لى أن أبدأ على أى حال بشئ ... ولكن الظروف سرعان ما تدخلت .. فقد أراد هو أن يخرج من جيبه الحلقى علبة السجائر . فصدمتنى يده على غير انتباه منه . فالتفت نحوى .. وتقابلت عينانا فحملق فى وجهى لحظة ، كمن يراجع ذاكرته .. ثم ما لبث أن انفرجت شفاته عن صيحة أذهلت الحاضرين :

- رضوان ..!

ثم فتح ذراعيه ، وعانقنى عنقا طويلا .. فرحا كالطفل ، مبتهجا كمن لقى لقيه .. وهو يردد : « رضوان .. صديقى رضوان ! » .. وقبل أن أفتح فمى بحرف ، جذبنى من

يدى وقادنى الى مائدة فى طرف الحانة كأنما يريد أن ينفرد
ويستأثر بفرحة العثور على... وصفق ينادى «الجرسون» :

- زجاجة شمبانيا !! -

- هكذا سريعا ؟!

- دعنى أرد اليك بعض دينك ! أين كنت طول هذا
الزمن ؟.. لقد بحثت عنك فى كل مكان.. ولكنك اختفيت
فجأة . هأنذا أعثر عليك الآن فاتركنى أرد اليك الحسنة
بعشرة أمثالها !! -

- لست أدري هل تعتبر فعلتى حسنة ؟!! -

قلتها كالمخاطب لنفسى ، وأنا أجيل بصرى المشدوه فى
كل جزء من أجزاء هذا الكائن الذى كان يسمى فيما مضى
« الشيخ عيش ».. كلا ، ان التغير الذى طرأ عليه لا يمكن
أن يسمى تغيرا ولا تطورا ولا انقلابا .. انه شئ لم يوجد
له بعد اسم.. الوجه وجهه والصوت صوته ، ولكن اللهجة
التى بها يتحدث ، والطريقة التى بها يشرب ، والاسلوب
الذى به يسمر ، والعقل الذى به يفكر ، والنفس التى بها
يشعر .. كل هذه أشياء أراها لأول مرة .. على أن عيني
الفاحصة دلتنى على شئ عنده سبق أن رأيته .. طرف الموسى

البارز هذه المرة من جيب الصدر ، خلف منديله الحريري
المتهدل .. ولم يدعنى أستغرق فى دهشتى وتأملى .. فقد
رفع كأسه قائلاً :

- فى صحة رضوان !..

فرفعت قدحى :

- فى صحة علوى !

وشرب كأسه كلها فى جرعة واحدة .. ثم التفت الى
قائلاً :

- أرى أن عطشك الحقيقى هو الى معرفة شىء عن
صديقك الجديد « علوى » !.

- طبعاً !..

فأشار الى ماسح الاحذية الذى يجوس بصندوقه خلال
المكان وقال :

- لقد بدأ هكذا ...

ثم أخذ صوته يخفت كلما أوغل فى الحديث ، كأنما يدلى
باعتراف أو يسعى الى مخاطبة النفس ... ثلاثة أشهر أو
أربعة حمل فيها صندوق الاحذية وتعلم خلالها النشل
والمقامرة والمغامرة وخدمة الغوانى .. الى أن تجمع فى يده

مبلغ من المال .. فطرح صندوقه وجلبابه ، واشترى بذلة
نظيفة وصار أفنديا .. ولكن صلته بالغانيات وحاجتهن الى
الحماية جعلتا منه فى نظرهن رجلا لا غنى لهن عنه .. ولقد
تبين له بعد قليل أن هذا عمل مريح .. فقد كثر عدد
المحتاجات الى يده وحمايته .. وشاع عنه ذلك فى هذه
البيئات ، وشاهد الناس من خوارق براعته فى استخدام
الموسى ما جعلهم يحسبون لغضبه حسابا .. وامتد نفوذه الى
أكثر البارات والحانات ، بمن فيها من نساء وزبائن وساقين
.. فهو الآن يرتاد أغلب أماكن اللهو ، ويطلب ما يريد ،
دون أن يجروا أحد على الاعتراض أو المطالبة .. بل هو
الذى يتقاضى من أصحابها الأتاوات والمرتبات لضمان الهدوء
فى هذه المحال .. وهو أحيانا يشتط فى الطلب ، ويركن
الى التهديد واحداث الشغب فيذعن من يذعن ، ويلجأ البعض
الى بيع حاناتهم هربا منه وضيقا .. كما حدث للمالك السابق
لبار « الفردوس » .. هذا هو علوى . وهذه حياته ...
رواها بلهجة سريعة مقتضبة ..

ثم التفت الى قائلا :

— والآن ما رأيك ؟ ..

فأجمتنى الحيرة ... ماذا أقول ؟ .. وكيف أمسه بنقد
وهو شارب ، والموسى فى جيبه ... ولكنى أجبتة برفق :
- لقد كنت هبطت الارض لتواجه الشر فيما أذكر وتنازل
الرزيلة ..

- ماذا تقول ؟ ..

- ألا تذكر أنهم أنزلوك الى الارض من جديد لتنازل
الشر ؟ ..

- من الغريب اننى نسيت ذلك . لقد استغرقتنى حياتى
وجرقتنى ، فلم أفطن الى ما جئت له ...

- ألم تصادف الشر ؟ .. ألم تر الرزيلة ؟ ..

- أين ؟ ..

قالها كالتائه أو المحدث فى الظلام .. فألقيت نظرة الى
الزجاجات الثلاث التى أفرغها فى جوفه ، منذ جلوسنا ..
ثم تأملت حاله ، فلم أجد للشراب أثرا فى صوابه .. هو
اذن صادق فى احساسه .. لقد جرفه التيار الى حد ألهاه
حتى عن سؤال نفسه : « فى أى طريق يسير ؟ .. » .. يا لها
من هزيمة ! انه لم يثبت للنزال ، لقد تلاشى الشيخ عlish ،
وتلاشت عمامته ومسبحته بلمسة خفيفة من ظل الرزيلة

لقد رفع فى الميدان الراية البيضاء دون وعى منه ، قبل أن
يفطن حتى الى وجود عدو ومعركة !..

وأطرق الرجل طويلا .. ثم قال بذلك الصوت الخافت
الصاعد من أعماق نفسه :

- فى يدى المال والسطوة والمتعة .. ولكنى .. مخلوق
شقى !..

- أبدأ ضميرك يعذبك ؟

- ضميرى ؟! .. أعرف الآن ما هو .. أستطيع أن
تجيد الاصغاء الى .. لا أخبرك ؟..

- نعم .. أخبرنى بكل شئ . انى أحس كأنى مسئول
فقاطعنى بتصفية قوية ينادى بها الساقى وهو يصيح :
- زجاجة أخرى !..

ولكن مدير المحل أوماً الى « الجرسون » أن يتغاضى
ويتصامم ، وصفق علوى مرة ثانية وثالثة .. فلم يجد مليا
لندائه ، فأطلق صيحة مدوية ضج بها المكان ، فحضر اليه
مدير المحل يقول :

- علوى بك !.. ألا تكفى ثلاث زجاجات من الشمبانيا
الفاخرة ؟. هذا كثير !..

- الكثير أذنالك اللتان لا تسمعان طلبى .. سأريك أن واحدة منهما تكفيك لسماعى !..

وفى مثل ملح البصر ، استل موسى من جيب صدره . وقذف مدير المحل .. وكنت لحسن الطالع قد فطنت لقصد صاحبى ، فدفعت بكل قواى مدير المحل بعيدا عن مرمى النصل ، فنجبا واستقرت الموسيقى فى خشبة المنصة !. وهاجت الحانة وماجت ولكن ما من أحد تحرك من مكانه ، فقد كانت لعلوى هيبة .. فتسمر الحاضرون فى مكانهم رهبة أو وهما .. وقام هو يمشى على مهل بجلال الى المنصة ، فنزع عنها نصله البراق وطواه ودسه خلف منديله، وأراد أن يعود الى مجلسه من الخوان ، ولكنى أمسكت بذراعه وسألته بلطف أن يخرج معى من الحانة، لنستأنف حديثنا فى هواء الطريق الطلق .. فأذعن مرغما لرجائى وخرج معى .. وهويهمس بغضب مكتوم :

- لا يستطيع أحد أن يخرجنى قهرا من هذا ...
« الفردوس » !

- قهرا لا .. لقد خرجت بإرادتك !..
قلتها له بلهجة التزلف والمداواة خشية من بوارده ،

وتهدئة لثأره ، ثم سأله ونحن فى الشارع سائران أن
يمضى فى حديثه ، وأن يخبرنى بما كان يزعم اخبارى به
.. فنظر فى ساعة ذهبية بمعصمه وقال :

- لا أستطيع الآن ... غدا اذا شئت ... وموعدا فى
عين هذا المكان .

- عين هذا البار؟! أو هذا ممكن بعد الذى حصل ؟..
- ماذا ؟.. هذا يحصل كل يوم !..



لم أتمكن من مقابلته فى الموعد المحدد .. فقد دعيت الى
عرس أحد أقربائى فى الريف .. فسافرت ولبت هناك
بضعة أيام ، رأيت فيها العجب : ضريح الشيخ عlish أصبح
كعبة يحج إليها مئات الناس من القرى المجاورة ، يحملون
اليه الشموع أيام الاسواق ويوفون بالذور .. وينوهون
بكراماته العديدة فى ابراء الامراض وقضاء الحاجات ...
ولقد أبصرت امرأة ترفع طفلها العليل بيديها ليلمس
شباك الضريح ، ويتلقى من مس حديد البركة ، وهى
تصيح من أعماق قلبها :

- يا شيخ عlish !.. يا ولى الله يا ساكن الفردوس !..

نظرة .. مدد .. نظرة .. مدد ..!

ولقد سمعت رجلا يهز باب الضريح صائحا :

- يا شيخ عlish .. يا حليق الراس ... خد يدي ،
واشف وجع راسي !

أبصرت ذلك وسمعتة كثيرا من أفواه كثيرة .. وقلت
فى نفسى : منذا يستطيع أن يقول فى هذه الجموع المؤمنة
الآملة ان الشيخ عlish لا يوجد الا فى بار « الفردوس »
بشارع عماد الدين ، وأن من يدعونه ولى الله حليق الرأس
ليس سوى « بلطجى » يحلق الآن الأنوف والآذان
بموساه من رؤوس الناس ..!!

لو قلت لهم هذا القول لرجمونى بالحجارة ، وصاحوا
بى : اقتلوا الكافر !.. اهلكوا الكافر !..

على أن العجيب فى الأمر أن كثيرا من هؤلاء المرضى
الذين يزورون الضريح يشفون حقا .. ولقد أكد لى ذلك
بعض من يوثق بقولهم من جلة أقربائى فى الريف ..

ولقد فكرت فى ذلك قليلا ، فزال عنى العجب : يا لهؤلاء
الناس !.. انهم هم الذين يشفون أنفسهم بأنفسهم وهم
لا يعلمون . ان الناس لا تريد أبدا أن تصدق القوة الخفية

الكامنة فى أعماقهم . ولا بد أن يخترع لهم وهمهم قوة خارجية ينسبون إليها ما يأتون هم من معجزات ..!

وتخيلت حال الشيخ عlish - أو علوى بك - لو أخبرته بأمر هذا الكرامات التى تفيض على الجموع من نوافذ ضريحه .. بينما هو غارق فى خمور البارات والحانات .. ولكنى رأيت أن أمسك عن اخباره وأن ألزم الصمت المطبق ، رحمة بجيوب العباد .. فانه لو علم ، لحضر الى الريف واستغل هذا المنجم الذى لا ينضب ... وحسبى ما اقترفته من اثم ما زال يوقر ضميرى ، اذ دفعته الى طريق الموبقة أول ليلة .. فلا ينبغي أن أدفعه الى طريق اثم جديد .. فليق اسمه منبع رحمة للناس وليذهب جسمه الى الجحيم عدت الى القاهرة .. وذهبت فى المساء الى حانة « الفردوس » فتلقانى مدير المحل بالترحيب ، وشكر لى موقفى وتدخل فى تلك الليلة التى هاج فيها علوى وقذفه بالموسى .. وقال لى انه كان ينوى أن يخبر البوليس ، وأن يجازف ويتعرض لانتقام علوى .. فهو يعلم أنه لن يتركه فى هدوء اذا هو بلغ عنه .. فهو له أعوان .. وانه سيتعقبه بالويل ولو بعد أعوام من سجنه ... لو سجن ... ولكنه

آثر ضبط النفس ، والتغاضى عن الحادث .. لانه يعرف
علوى منذ زمن ، ويعلم انه سريع الغضب سريع الصفاء ..
والخير فى استئناف الصلات الودية مع مثله ... غير انه
يلاحظ عليه فى الاسابيع الاخيرة تغيرا غريبا . وليس هو
وحده الذى رأى ذلك منه .. غانيات الحانة على الخصوص
وهن أدق احساسا بما يشغل نفسه فى هذه الايام .. ولقد
سأله : أحادث علوى بعد تلك الليلة ؟ .. فأخبرنى وهو
دهش أن علوى لم يحضر الى الحانة منذ خروجه معى تلك
الليلة

وعبنا حاولت بعد ذلك العثور على علوى .. بحثت عنه
فى جميع البارات والكباريات ...
وأخيرا قال لى أحد خدم « البار » انه لمح ذات مرة
شخصا يشبهه جالسا أمام مقهى وصفه لى فى حى السيدة
زينب

فذهبت الى ذلك المقهى .. فاذا بى أجده علوى قاعدا
بمفرده ، يتأمل شيئا لا أتييه .. فدنوت منه ، ولكنه لم
يفطن الى حتى وضعت يدى على كتفه .. ففأفاق فى شبه
رعدة ونظر الى وقال :

- أنت ؟ ماذا أتى بك الى هنا ؟ ..

- وأنت .. ما الذى أتى بك الى هنا ؟ ..

- اجلس ..

قالها وهو يهيم على كرسيا بجواره ، ونادى «الجرسون»
وطلب لى فنجانا من القهوة .. وأطرق طويلا ، ثم رفع رأسه
وقال بصوت كالهمس :

- يجب أن أخبرك ..

- بكل ما يقوم فى نفسك !

- نعم .. لن أخفى عنك شيئا مما فى نفسى .. انى
أحب . وعندما ألفظ أنا هذه الكلمة ، فاعلم أن أمرا عظيما
قد وقع . فأننا من أكثر الناس صلة ومعرفة بالنساء ، ومن
أكثر الرجال متعة وامتلاكا للحسان والغايات والجماليات ..
ولكن الذى حدث لى قلب كيانى وأنت فى قلبى مشاعر
أحسها لأول مرة .. هى فتاة لو رأيته لعجبت كيف أن
مثلا يمكن أن يوحى بالحب .. على الاخص الى رجل
مثلى .. نحيلة ضئيلة يضرب لونها الى الصفرة ، لا تضع
الطلاء ، ولا تعرف الاغراء ولا تلبس غير البسيط الضرورى
من الثياب .. هى معلمة فى مدرسة ابتدائية للبنات فى هذا

الحى .. تسألنى : كيف عرفتھا ؟ أقول لك : المصادفة .. كانت
فى دار من دور السينما مع بعض تلميذاتها ، يشاهدن رواية
ملونة بالرسوم المتحركة . فلما انتهت الحفلة وخرجت
بأطفالها تعرض لها شاب ثقیل بمغازلة سمجة ، فلم تعرف
كيف تخمى نفسها منه ، فتدخلت وأنقذتها ، وأوصلتها الى
مدرستها مصونة موقرة مع تلميذاتها .. فشكرت لى ذلك
بصوت لن أنساه ! صوت أثر فى نفسى كما تؤثر أحيانا
قطرات الندى فى قطعة الصخر .. صوت لم أسمع من
قبل نبرة حنانه ورقته ووداعته حتى ولا بين ملائكة السماء! ..
منذ تلك اللحظة شعرت أنى محتاج الى هذا الصوت ، كما
تحتاج الصحراء الى ماء المطر .. فكنت أجيء فى كل يوم
أترقب موعد خروجها ودخولها المدرسة .. لأقابلها وأقربها
السلام ، زاعما لها أنى من سكان الحى ، وأنصرف عنها وقد
ملا صوتها قلبى .. فأعيش على هذا الغذاء ساعات حتى
أحس الحاجة الى صوتها من جديد .. هذا كل عملى الآن
.. انها كل شغلى الشاغل .. بل هى النور الذى أضاء
جوانب نفسى وجعلنى أتحسس دهاليزها المعتمة وأعرف
ما فيها من خير وشر ، وفضيلة ورذيلة ، وكنوز ووعابین ،
آه .. ليس الفردوس هناك فى السماء .. وليس هنا فى

شارع عماد الدين !. انه هنا فى القلب !. وربما كان فيه
الجحيم أيضا !. لقد عشت أياما على أمل الزواج منها ..
لأننى بغير هذا المصباح لا أرى شيئا ، ولا أميز شيئا .. ولا
أفرق حتى بين الحسنة والسيئة ، ولكن دون هذا الأمل
هوة أوسع من فوهة جهنم !. لقد تمكنت من اطالة حديثي
معه . فعلمت أنها مخطوبة لابن عم لها مدرس هو الآخر
فى مدرسة ثانوية .. ولقد تبينت من حديثها وتفكيرها أضواء
من الحياة النظيفة والعواطف النبيلة والاهداف السامية ..
كل همها فى الدنيا اخراج نماذج من البشرية الراقية .
وهى تتحدث عن خطيئها كمعاون لها فى مهمتها الانسانية
.. لقد كنت أحس الضالة والحقارة وأنا بجوارها أستمع
اليها ، كأننى ذبابة قدرة دانية من شراب مطهر أو دمقس
مقدس !. ماذا ينبغى أن أفعل بعد ذلك ؟ أمامى طريقان .
اما الهجوم والعمل على الظفر بها بأى ثمن ، وقد أنجح ..
فهى لا ترتاب فى أمرى ، وتجهل كل شئ عنى ، وقد ملحت
من حديثها بعض الاطمئنان الى ، والثقة بى ، وليس من
العسير أن أنمى ذلك فيها الى حد العطف والميل وربما ..
الحب .. واما أن أنقذها منى ، وأتركها لطريقها المستقيم ،
وخطيئها المذهب ، وحياتها النظيفة وهدفها السليم .. اذا

دخلت حياتها فقد حطمتها وهدمتها .. فما أنا لها الا نعمة !
وما ذنب هذه الطاهرة الماضى الباسمة المستقبل ، أن تكشف
ذات صباح وهى بين أنرابها وزميلاتها وتلميذاتها ورئيساتها
أنها ما تزوجت غير « بلطجى » ! .. صناعته التكسب من
أتاوات الغانيات والكباريات ! واذا تركتها .. ولم تدخل
هى حياتى فقد حطمتى وهدمتى . ماذا أصنع ؟ .. انى لفى
حيرة . وانى لأرتضى كل يوم فى هذا المقهى ، بعد مقابلتها ،
لأفتح فى نفسى ميدان صراع : هل أقدم ؟ هل أحجم ؟ ..
وأطرق غارقا فى صمت طويل . ولم أشأ أنا قطع هذا
الصمت .. فسكت ، وجعلت أداعب بأصابعى أذن فنجان
القهوة ... الى أن رفع رأسه مرددا :

— هل أقدم ؟ هل أحجم ؟ ..

فاكتفيت بأن قلت له :

— تلك هى المعركة الكبرى بين الخير والشر ! .. وعليك
الآن أن تحوضها ! ..



مرت الايام بعد ذلك دون أن أرى علوى ، فقد اختفى
من كل مكان ... واذا بى أتلقى خطابا من أقاصى الصعيد ،

بامضاء « الشيخ عليوه » يخبرني فيه انه افتتح كتابا من
الكتائب في تلك المنطقة النائية التي كان يرد ذكرها على
لساني في أحاديثي مع « علوى » في ليالى السمر بالبار...
وانه قد انقطع لتربية النشء من أبناء الفلاحين ، وتبصيرهم
بالفرق بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة . وان الموسيقى
عادت الى حلق شعر رأسه زهدا .. والعمامة والمسبحة
ظهرتا لخدمة التقوى البصيرة ، والورع الحقيقى مع العمل
المفيد والكدح المجدى ، وان المصباح الذى أضاء قلبه يجب
أن يظل مرتفعا عن الدنس .. ولقد تركه لمصيره الطاهر معاها
نفسه أن يحذو حذوه ، وأن ينهج سيرته .. وانه يكفيه منه
شعاع ينير له على البعد كالنجم السحيق ...
وكانت تلك نهاية المعركة ..



وختم صاحبى المرح قصته قائلا :

- والآن هأتذا قد سمعت قصة ذلك الرجل الذى كان
يسمى : الشيخ عlish ، وعلوى بك ، والشيخ عليوه ...
فما حكمك عليه ؟ ..

فقلت له وأنا أرشف قهوتي بعد العشاء الشهي الذي
قدمه الى :

- فلنترك الحكم عليه للملائكة السماء .. فانه سيصعد اليهم
هذه المرة بملف زاخر ، سيقتضيهم فرزا دقيقا وحسابا
طويلا .. قبل أن يصدروا حكمهم بقبوله النهائي أو طرده
الدائم من الفردوس !! ..



لاكرامة لنسبي في وطنه

كانوا فى القرية يطلقون عليه اسم « زنجبر » .. ولست
أدرى أكان لهذا الاسم صلة بمنظره ؟ لقد كان أسود اللون ،
قبيح الصورة ، مخروم الأذن . يرتدى معطفا عسكريا ،
نحاسى الأزرار ، من بقايا الحرب العالمية الاولى ، قد رث
عليه وبلى وضاعت أزراره الا واحدا ربطه بخيط من تيل ،
وهو يحمل فى يده هراوة كانت فرعا من شجرة السنط
التى تظل « الكياس » القبلى .. يرفعها ويجرى بها وراء
الساخرين به والضاكين منه .. وما أكثرهم ! ما من أحد
كان يأخذه على سبيل الجد .. وما كان هو يحفل بآراء
الناس فيه .. كان يكفيه دائما رأيه هو فى نفسه .. كان
له أخوة يصغرونه سنا تزوجوا واستقروا وأنتجوا ذرية
تسعى معهم الى الغيطان وتعود منها بعد الغروب ممسكة
بزمam البهائم المحملة بعليقها من الحشائش وأعواد الذرة ..
أما هو فكانت فكرة الزواج تثير بالنسبة اليه ضحك القرية
وهذرها وعبثها ... من هى تلك التى ترضى أن تتزوج من
« زنجبر » ؟

وكان هذا هو السؤال الذى اعتدت أن ألقيه عليه ، منذ
أعوام طويلة ، كلما ذهبت الى الريف :

- هل تزوجت يا زنجر ؟!

- أبدا

كان يقولها فى شئ من المرارة والثورة .. فكنت ألاحقه:
- وما السبب ؟

- ما فيش فلوس !..

هذا كان تعليله الوحيد... ورأيت أخيرا أن أبطل هذه
الحجة ، فعرضت عليه أن أقوم عنه بكل نفقات عرسه من
مهر وفرح وثياب الخ ... لو ظفر هو بالعروس . فسر
لذلك وحمد وشكر ، ولكن الايام مرت ولا نتيجة لهذا ولا
أثر ... ولم أعلم ما حدث . ولكنى صرت بعد ذلك كلما
مشيت بين الحقول والى جانبى « زنجر » أتأمل من أجله
كل فلاحة تيمس بقدها تحت ثقل الجرة ، كما ييمس العود
تحت ثقل السنبلة .. فأسألهما :

- يا بنت ... أتزوجين الولد « زنجر » ؟..

فما أسمع الا دقة على صدرها وصيحة :

- يا خيتى !..

وتشتد في السير مجفلة هاربة حتى تختفي ... وإذا
زنجر بجوارى يشيعها وهو مجروح ساخط مغتاض :
- داهية لا ترجعك ... وأنا كنت أرضى؟! ..

ثم يأخذ في اقناعي بأن كل هؤلاء الفتيات دون ما يستحق ،
ودون ما يريد ، ويأخذ بعد ذلك في حمد الله اذ ضرب على
أبصارهن ، فهذا الرفض منهن نعمة! ... ولكني لا أقتنع ،
وأظل أطرح السؤال على طوائف مختلفة من بنات القرية
... وأهبط في سلم الجمال درجات ، وأطأطأ الرأس
نيابة عنه وأقبل تضحيات ، حتى وصلنا الى درك لا نزول
بعده .. فكل مشوهات القرية ، من الخنفاء والعرجاء
والحدباء ، عرضت أمره عليهن .. فما سمعت قط غير تلك
الصيحة المنكرة من الأفواه وذلك الدق المستنكر على
الصدور .. وتلك العبارة الواحدة من كل الشفاء :

- ضاقت علينا الدنيا ... ما بقى غير « زنجر »؟! ..



وصدقت وآمنت أخيرا بصعوبة زواجه .. فهذا رجل
تنشأ في القرية أضحوكة ، وشبت فتيات القرية لا يبصرن

منه ولا يعرفن عنه الا أنه رمز السخرية ، ومناطق العيب
ومثار الهذر ... لقد كان فى مجرد تقدمه الى أسرة من
القرية سوء أدب منه فى نظرها ، وتعد منه على كرامتها ،
وخدش لسمعتها ... اذ استقل شأنها فخصها دون أهل
البلد بهذه المهانة وقلة التقدير ... هكذا كانت الأسرة
تدفعه عنها كما تدفع الفضيحة ... وبلغ الحال من سوء
أن أصبح « زنجير » شخصية تغيظ بها البنت المذنبه اذا أردت
لها تأديبا ... ولم يشذ عن استخدام هذه « الأداة »
التأديبية أحد حتى أنا ... فقد انتهى بى الأمر أن آمنت
بما يؤمن به الجميع فى القرية ... وصرت اذا أردت أن
أشتم بنتا مهملة من بنات الخدمة فى البيت أو الحقل أكتفى
بقولى :

- والله يا بنت لأزوجك من « زنجير » !

فتظفر دموع الخوف والضراعة من عينيها فى الحال ...
وأدرك أنى قد رفعت عليها بهذه الجملة سوطا يقيم عوجها
ويصلح فاسدها ...

كل هذا و « زنجير » فى ملكوت من نفسه ، وعالم من
رأيه ، وحصن من « حالة مغنوية » عجيبة ... مرتفع فوق

لجج الاستهزاء العام ، لا تعصف برأسه أنواء ، ولا يصل الى
عينه رذاذ ولا ماء .. لطالما ساءلت نفسي فى أمره : أهو
جمود ؟ أهى بلادة شعور ؟ أم هى صلابة شخصية وقوة
إيمان ؟ ..!

أردت أن أتدر به ذات يوم ، فقلت له :
- ومن التى ترضى أن تتخذها زوجة لك من بين بنات
القرية ؟

فقال بلا تردد :

- البنت « سلطنة »

يا للعجب !... « سلطنة » هذه هى أجمل بنات القرية
طرا . هى الزرقاء العينين العسجدية الشعر... التى يخشى
التقدم اليها أجمل فتيان القرية وأقواهم ... هى التى
يتنافس فيها المتنافسون ، ويتزاحم المتزاحمون ، من بين من
فرزت مؤهلاته وبرزت صفاته .. فما تماكنت أن صحت به:
- طيب اسكت .. اسكت ..

مرت الايام ... وعدت مرة أخرى الى الريف بعد
غية عنه طويلة ... فراعنى ما أجد ، وأذهلنى ما أرى ...
زنجر قد تزوج ..

تزوج بمن ؟ ..

بفتاة أجمل من سلطنة ! ...

وعلم زنجر بحضورى ، فجاءنى وكأنه يقول : « هذه المرة تستطيع أن تسألنى السؤال المعهود » . ولكنى كنت علمت الجواب من قبل ... فاكثفت بأن أقرأ على وجهه سطور انتصاره .. بل لقد قرأت ذلك على وجوه أهل القرية أجمعين .. لم يعد « زنجر » فى نظرهم ذلك « الاضحوكة » .. ان الاسم لم يزل حقا لاصقا به . ولكن قد غسل عنه كل معنى من معانى الهزء والسخرية ..

كيف حدثت المعجزة ؟ .. لم يخبرنى هو .. ولكن الذى قص على شيخ وقور من شيوخ القرية ، قال :

— حدث منذ ثلاثة أشهر أن حضرت الى القرية « ترحيلة » « لنقاوة » الدودة من زراعة القطن وكان يعمل فيها بنات كثيرات من قرى بعيدة .. فيهن جميلات وفيهن رشقات .. وكان زنجر هو « الحولى » عليهن .. فاذا هو يلمح من بينهن فتاة هى أسطعن جمالا وأوفرهن سحرا وأكثرهن فتنة .. بل هى حسن لم نر له مثيلا فى قريتنا . فلزمها فى العمل ، وتودد اليها .. وخفف عنها .. وكان لا يأمرها الا بمعروف

ولا يعاملها الا برفق ولا يحادثها الا بلطف .. وتفتحت نفسه
لها بيضاء جميلة كما تتفتح زهرة القطن .. وكانت الفتاة
طيبة القلب ، فأبصرته « بعين » قلبها ولم تبصره بعين أذنها
.. رأت فيه « الانسان » ولم تر فيه « الاضحوكة » ..
فهى من قرية بعيدة لا تعلم عنه شيئا .. فلم يقم بينه وبينها
سد قديم من تلك الشخصية المبنية بلبسات الضحكات ، فى
بلده ، على مدى الاعوام .. لقد بادلتها لطفا بلطف ، وعندما
قال لها مازحا ذات يوم : «تزوجيننى ؟» لم يرعه الا قولها :
« نعم » .. فقال لها :

- صحيح ؟

فقالت :

- صحيح

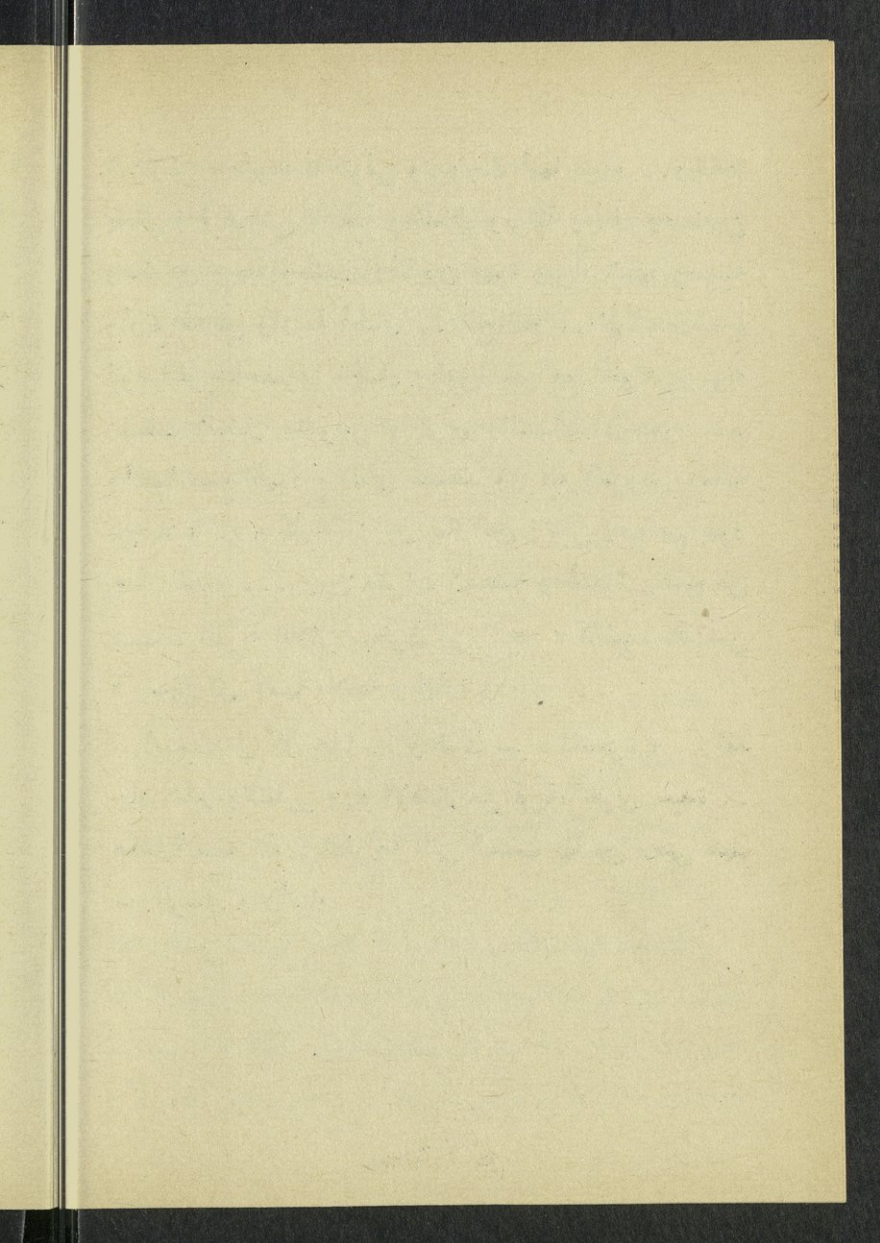
- تحلفى على المصحف ؟.

- أحلف

وأقسمت انها جادة .. وأنها لا تطمع فى زوج خير منه
فطار زنجر فرحا الى أهله يزف اليهم الخبر .. ولم يصدق
أهله هذا الكلام الا بعد أن سمعوا قبول الفتاة بآذانهم ...
فارتفعت « الزغاريد » فى القرية ... ودفع زنجر المهر لأم

العروس ، فأبوها قد توفى وتزوجت أمها بغيره... وجاءها
بحلق و « غوايش » فضة وخلخال ومرتبة ولحاف ومسندين
ومخدين وحلة وطشت وفناجين قهوة وبراد شاي وصينية
وأربع ملاعق وأربعة أطباق .. الخ الخ .. ثم أعدت العدة
ليوم الفرح فأحضروا الجمل وطفق زنجر مع اخوته بزينونه
بسعف النخيل والبوص والجريد والشال الأحمر ...
وأتموا صنع الهودج الذى سيحضرون فيه العروس الفاتنة
من بلدها ... كل ذلك بين غناء أهل زنجر وغبطتهم بفوز
هذا المظلوم ... وبين نظرات الدهشة والحسرة والندم من
بنات القرية اللاتى سخرن من زنجر ، فأظفره الله بمن
لا يصلن الى كعبها ملاحه وطهارة ودماثة ...

أصغيت الى كل هذا .. وعلمت سر « المعجزة » .. لقد
جاءه الخير والتقدير ورد الاعتبار من قرية أخرى بعيدة ..
هكذا أنصفه الله .. بالطريقة التى أنصف بها من رضى عنهم
من الرسل والانبياء



الدنيا رواية

الدنيا رواية حقا فى نظر أولئك الذين يؤمنون بنظرية حلول الروح . تلك النظرية التى تزعم أن عدد الأرواح فى الكون محدود، كما أن عدد الممثلين فى المسرح محدود . وأن الذى يتغير هو الأدوار التى يتقمصها أولئك الممثلون . وهى أدوار لا حـد لها ولا نهـاية ، فى تلك الرواية الاستعراضية العظمى !..

إذا سائرنا أصحاب هذا الزعم فى زعمهم ، فإن الصورة التى يمكن رسمها للعالم تبدو جديرة بالتأمل . ومن السهل تخيل الأرواح فى ظهورها واختفائها فوق مسرح الدنيا ، على الوجه الذى يحدث بالضبط فى المسارح التمثيلية . فهناك ، مثلا ، بعيدا عن هذه الأرض وشمسها وقمرها ، مكان خفى ، يمكن أن نتصور فيه ملاكا يقوم بوظيفة «الريجيسير» - أى مدير المسرح - يعطى الإشارة للشمس والقمر ، فتسلط الأولى أشعتها الذهبية القوية ، والآخر أشعته الشاحبة الفضية على سطح الأرض .. كما تسلط مصابيح « البروجكتور » الكهربائية على خشبة دار التمثيل .

ولا بأس من أن تتخيل ذلك « الملاك » فى مكانه هذا مباشر
أعماله اليومية ، وينظر فى « اللوح » الذى أمامه ، المسطورة
فيه الادوار والاقدار ، ويستعرض ألوف الارواح المهيأة
للظهور على مسرح الدنيا ، ويستقبل الألوف من الارواح
الخارجة منه ... ولا ضير أيضا فى أن نطلق الخيال أبعد
من ذلك ، لينسج لنا قصة روح من بين تلك الارواح العائدة



ظهر الروح الذى نروى قصته ، خارجا من الدنيا وهو
مدهوش مذهول ، كمن أفاق فجأة من نوم عميق ، وهو
يردد هذه العبارة :

- يقولون انى مت ...! أنا الآن ميت حقيقة؟! زوجتى
التي تتحطم تفجعا، تصيح بأنى أموت ، وأنى مت .. أخبرونى
أيها السادة ... هل أنا حقا ميت !!؟

ولم يلتفت اليه « الملاك » المنهمك فى أعماله ، الشاخص
بصره الى اللوح الذى أمامه ، والسجل الذى بين يديه ،
واكتفى بأن هز رأسه وقال كالمخاطب لنفسه :

- كلكم هكذا ... لا تريدون أن تصدقوا أنكم متم .
ماذا أصنع لكم ؟ .. أنا .. ليس لدى وقت أنفقه فى اقناعكم

واقامة الأدلة والبراهين لحضراتكم .. تقدم يا .. ماذا كان دورك فى الدنيا هذه المرة ؟ ..

- كنت طبيبا . وكانت لى زوجة .. آه .. ان زوجتى هى التى تموت الآن ولا شك حزنا على أنا... يا للمسكينة ! .

ونسى ذلك الطبيب - أو روحه - كل ما حوله ، وراح يذكر كل دقيقة من دقائق حياته التى يؤكدون له أنها انتهت ... كان طبيبا جراحا ناجحا ، تخرج فى كلية الطب متفوقا ، وكل شىء يتسم له ، لقد كان من أولئك القلائل الذين ينالون دائما ما يريدون ، كان حسن المنظر لطيف المعشر ، يظفر بنظرات كل ممرضة وطالبة . لكنه كان يعتقد أن هناك امرأة واحدة لابد أن تستحوذ على كل قلبه وفكره وجسمه ، ولابد لها أن تأتى يوما ، انه أرادها ولابد له أن ينالها فالقدر قد عوده أن ينيله كل ما يتمنى ، فالنجاح فى مهنته تمناه ففاز به ، وقد تمنى المال والترف ، فجاءه المال من عمله ومن ميراث عائلى . وهو بعد ذلك يتمنى أن يلقى الزوجة التى يعطيها حياته وكده وكسبه ... فوجدها ذات يوم فى صورة مريضة ، أتت ليجرى لها عملية استئصال الزائدة الدودية ، ما ان وقع بصره عليها حتى اضطرب . أترى الارواح تتلاقى حقا ؟ كيف تلاقت روحاهما من النظرة

الاولى ؟! وكان من المستحيل عليه أن يتصور أنه هو الذى
يجرى لها الجراحة بيده ، ويشق جسدها بمديته . ان قلبه
لن يحتمل ذلك . واعتذر لها ولأهلها بشتى الحجج ، وعهد
بأمرها الى جراح آخر قال انه أمهر منه . ولم تدرك هى
معنى ذلك الاعتذار الا يوم فاتحها قائلاً : « لقد خلقت لآكون
زوجك لا جراحك » وكانت هذه الزوجة كل شىء
فى حياته . وكان هو كل شىء فى حياتها . ما من كائنين
اتفقا والتصقا وأصبحا كائناً واحداً مثل هذين الزوجين . كانت
زوجته تقول له يوم ترى جرحاً فى اصبعه : « يا للعجب !
كأن الألم فى اصبعى أنا . أهو وهم ، أهو حقيقة ؟ كيف
يتنقل الوجع المادى من أصبعك الى أصبعى هكذا أيها العزيز ؟ »
وكان هو يقول لها : « العجب حقاً هو أن كلامك هذا هو
عين ما عندى . لقد شعرت فعلاً يوم جئتنى لأشق جسديك ،
كأن المشرط سيشق جسدى أنا ، وأنا بالطبع باعتبارى
جراحك لن أعطى مثلك البنج ، فتصورى جراحة تجرى
لى بغير بنج ، بينما أنت المريضة لا تحسین الألم ! » وعاش
هذان الزوجان السعيدين أعواماً كلها هناء . ولم ينجبا
أولاداً . ولم يحل ذلك دون تعلق أحدهما بالآخر . . .
بل لقد كرها الاطفال حتى لا يسمحا لغيمة أسف أن تخيم

على جبهما . انهما هكذا ناعمان أحدهما يكمل الآخر .
ولا حاجة لهما بثالث .. وجاء اليوم المشؤم ... فقد نهض
على عادته فى الصباح المبكر لاجراء عملية جراحية ، ولكن
زوجته أحست فى ذلك اليوم خطرا ... وتنبأت بكارثة ،
كما تنبأ آلة الرصد بكسوف الشمس . فتوسلت اليه أن
يبقى معها ذلك النهار . فأبى التقصير فى واجبه . ان مرضاه
فى انتظاره . فادعت المرض . فلاطفها ، وداعبها حتى كشف
بظرف عن تحايلها ، وقبلها قبلة طويلة ، وانفلت من بين
ذراعيها المتشبثتين بعنقه . وتركها جامدة كالتمثال ... وفى
الظهر عاد وفى جسمه السم . فقد شرط قفازه أثناء الجراحة ،
وسرى الداء فى دمه من أصبع مجروحة ، واجتمع حول
فراشه أساتذة الطب وأساطين العلم لينقذوه من الموت . ومن
خلفهم زوجة تموت وتجيا مع كل نفس من أنفاس قرينها
الحبيب ... ولكن .. كان الموعد محددًا لانتهاه دوره فى
الحياة عند هذا الموقف . وكان على الروح فى ذلك الوقت
أن يخلع الجسد كما يخلع المثل ثياب التمثيل . وعندما كان
يسلم النفس الاخير ، بين شهقات امرأته المكتومة ، وبريق
دمعها المنساب ، ووقفها المترنحة المتجلدة ، وابتهاماتها
المموهة الدامية خيل اليه أنه يرى الحقيقة تضطرب فى

الظلام خلف عتبة الحياة . نعم ، الحقيقة هي أن الحياة ليست حقيقة . كان احساسه احساس ذلك الممثل الذي عاش دوره ، ونسى أمره ، وأبكى الحاضرين وبكى هو نفسه ، الى أن فرغ من الموقف الاخير ، وشعر بنزول الستار ، فالتفت ، فاذا عينه تلمح في الظلام « الكواليس » بما فيه ومن فيه ، فسكن نائره ، ورفع يده ليمسح دمه ، قبل أن يدلف الى داخل المسرح فيسخر منه زملاؤه ويسخر هو من نفسه . ولكن عبرات المشاهدين كانت تترده اليهم والى التعلق بهم وبدوره . فالعواطف فى ذاتها حقيقة .. كذلك الطبيب المحتضر ... خطر له أن يبسم لزوجته الثكلى ، وأن يهمس لها أن الأمر زيف فى زيف ، ولكن .. كيف يكون كل هذا الحب زيفا ؟ ... مهما يكن ما بعد الحياة ، وما بعد التمثيل فان الدموع فى ذاتها جديرة بالاحترام ، والحب فى ذاته أجل من أن يهزأ به ، ان الحب حقيقة ، وان ما يربطه بزوجته لا يمكن أن يخلع مع رداء التمثيل ، ولو اجتمعت عليه كل ملائكة السماء ! .. وهكذا ترك الميت خشبة « الأرض » وخلع رداء جسده ، ودخل على « الملاك » المدير ، روحا عاريا مجردا .. ولم يحس بعد فرقا كبيرا بين ما كان منذ لحظة وما يكون الآن . أين هو ذلك الموت الذى يقولون عنه ؟

ما الذى تغير فيه ؟ ها هو ذا يجب زوجته حبا جنونيا . وكل
أمله أن يلقاها . . ولكنه لا يستطيع . . لانه ميت ، كما
يقولون . اذ يراها ، ويرى جزعها ، ويريد أن يمد يده
اليها ، وأن يحدثها ليهون عليها . ولكن صوته لا يبلغها ،
ويده لا تطيع ارادته . ما من أعضاء مادية تأتمر الساعة
بأمره . كأنها أشياء منفصلة عنه . لا يملك تحريكها ، حاله
الآن كحالها عندما كان يتنابه فى الدنيا كابوس فيريد وهو
فى فراشه أن يتحرك ، ولكن ارادته لا تطاع . . انه الآن
ارادة مطلقة فى الهواء لا تسيطر على أجسام ، ووعى مطلق
فى الفضاء لا يؤثر فى أشخاص ، عدا ذلك فهو هو لم يتغير
فمن يدريه أن هذا موت ؟ لعله نوم عميق أو حلم عابر أو
كابوس مؤقت !.

والتفت مرة أخرى الى « الملاك » المنهمك فى أعماله
وقال له :

- أنا لا أحس أنى ميت

فنظر اليه « الملاك » نظرة شذراء وقال :

- أنت حر . .

- أريد أن أعود الى زوجتى

- قل هذا لعزرائيل من فضلك

- عزرائيل ! أتمزح ؟؟

فلم يتمالك « الملاك » وقال نافذ الصبر :

- ليس عندي وقت للمزاح يا سيدي . آه ، لو درى عزرائيل ! ذلك الذى لا تبطل له شكوى من كثرة أعماله ، لمجرد قبضه عدة أرواح كل يوم ، ينفذ بعدها يديه ويستريح . أما أنا فيجب على أن أقاسى من أرواحه وأتحمل حماقاتها ، وأصغى الى ثرثرتها ! يا حضرة الفاضل . . ألم يقبضك عزرائيل ؟ كيف تريد اذن منى أن أعيدك الى زوجتك ؟ واذا كان كل روح يقبضها زميلي أعيدها أنا ، فما الفائدة اذن من قبض الارواح ؟!

- أنا شخصيا لا أرى فائدة . لقد كنت مع زوجتى فى أتم هناء . فلماذا تتدخلون أنتم لتفترقوا بين المحبين ؟!

- لا نستطيع يا سيدي الفاضل أن نتركك فى هذا الدور ، أغنى فى هذا الجسد كما تحب أنت وتشاء ، لان روحك تلزمننا فى عمل آخر - عمل آخر ؟

- طبعا . لا بد لك من جسد آخر تحل فيه ، ودور آخر تقوم به . وهل تظن أن هذا كان أول أدوارك أو آخرها ؟.

لقد سبق لك أن حللت في مئات الاجساد ، وقمت بمئات
الادوار

- أنا ؟ أنا سبق لى أن كنت شيئا آخر غير زوج يجب
زوجته ، وطبيب جراح فى ...

فابتسم « الملاك » ابتسامة الساخر المتبرم ، الرائى لجهل
محدثه . وأخذ يقلب فى صمت صفحات سجله الضخم ،
الى أن وقف على صفحة ، نظر فيها لحظة ثم قال :

- اسمع يا سيدى .. قبل أن تكون زوجا وطيبيا ، كنت
لصا سكيما ، فتك براقصة فى ملهى ليسرق حليها .. ومات
على المشنقة !

- أنا ؟!

- انتظر ... ثم كنت قبل ذلك جنديا بسيطا قتل فى
معركة . ثم كنت طفلا مات بالدفتريا ، ثم كنت امرأة ماتت
فى الوضع .. ثم كنت رجل دين مات بالشيخوخة ، ثم
أميرا مات مسموما . ثم كنت ساحرا هنديا لدغته أفعى ، ثم
كنت فتاة انتحرت فى حادثة غرامية ..

- كفى . كفى . انى لست مجنونا لأصدق هذا الهراء .
أنا طبيب جراح . ولى زوجة أحبها ، واذا لم ألحق بها فهى

لابد لاحقة بى . ولن أصدق أبدا أنى كنت أمثل دورا .
فنظر اليه « الملاك » بابتسامته الهازئة وقال :

- كل مرة تقولون لى عين هذا الكلام ، أنت وغيرك ..
انكم لا تصدقون أن هذا كان تمثيلا

- تمثيلا ؟ ... حبها لى وحبى لها ... وحياتنا معا التى
لا تتصور حياة غيرها ! ... لا .. لا ..

- انك لم تزل واقعا تحت تأثير دورك .. الى أن تذهب
الى البحر ، فتغسل ذلك الطلاء ، وتزيل ذلك « المكياج »
عندئذ فقط تكون على استعداد لارتداء الدور الجديد

وأشار « الملاك » الى أحد مساعديه العديدين ، اشارة ذات
معنى ، فتقدم ليقود روح الطيب ، ولكنه وقف ونظر الى
عتبة الباب وقال لرئيسه :

- عزرائيل أرسل الينا روح امرأة

ولم يكذ يتم كلامه حتى ظهرت بالباب روح الزوجة ،
وما كاد روح الزوج الطيب يرى روح زوجته ، حتى صاح
فرحا :

- ألم أقل انها لابد لاحقة بى !

واندفع كل منهما نحو الآخر . وقالت روح الزوجة :

- آه يا زوجي العزيز ... لم أستطع البقاء هناك بعدك ،
لقد كانت ليلة فظيعة ... تلك التي رأيت نفسي فيها وحيدة
بدونك ، أناديك في الظلام .. ولم أتمالك نفسي عند الفجر ،
وأنا محطمة الاعصاب فتناولت كل ما كان بجوارى من
أقراص الاسبيرين طالبة النوم الأبدى ، والراحة السرمدية ،
أو اللحاق بك ، وها هو ذا أملى يتحقق وأراك . كيف أنت
أخبرني . انك بخير فيما أرى ، كيف قالوا اذن انك مت ؟
أنا أيضا لست ميتة فيما أعتقد . كنت أتمنى الموت ... وقد
شعرت عندما استدعوا الطبيب والاسعاف بعدتناولى الاقراص ،
أنهم يهمسون حولى بكلمة « الموت » ولكن .. أين هو
الموت ؟! أين هو ذلك « الموت » ؟!

ولم يستطع « الملاك » صبرا .. فنفخ صائحا :

- أف ! .. لعنة الله على هذه المهنة ! ..



طفق الروحان يرثران كالاطفال ، وقد أعماههما القرح
عن كل ما عداهما ، ولم يحفلا بمن حولهما ، وأدرك « الملاك »
أنهما لن يفرغا من الحديث ، اذا تركا وشأنهما ، فأومأ الى

مساعدته أن يقودهما الى حيث يغسلان عنهما آثار دوريهما .. الى « بحر النسيان » ..

واتجه المساعد نحوهما ليذهب بهما ، فحفظا منه وابتعدا عنه ، والتفتا الى « الملاك » صائحين :

- ايراد التفريق بيننا ها هنا أيضا ؟
- لابد من ذلك

- تتوسل اليك ... تتوسل اليك أن تدعنا معا دائما .
فى كل مكان ، وفى كل زمن ، وفى كل دنيا . ماذا يكلفك هذا أيها الملاك اللطيف ؟

- هذا قد يحدث لنا بعض الارتباك فى العمل
قالها بصوت بدت فيه رنة لين ، فمضى الزوجان فى
الالحاح :

- تتوسل اليك . مثلك لن يعدم وسيلة . اجمعنا دائما ولا
تفرق بيننا أبدا

- سأرى ... سأرى ... ربما دبرت لكما ذلك . لكن
اذهبا الآن قبل كل شئ واغتسلا فى البحر
- شكرا لك ...

لفظها الروحان بحرارة وفرح ... وذهبا فى الحال مع
المساعد صاغرين الى بحر النسيان

وهناك وجدا بحرا هائلا ، له شاطئ جميل مثل شواطئ
المصايف الشهيرة . والبحر يعج بالارواح السابحة فيه .
فخلب لبهما المنظر . واندفعا الى البحر ضاحكين سعيدين
كما كانا في الدنيا

وقفزا معا الى الماء يتناغيان بأرق الاسماء ، وغمرهما موج
أبيض كأنه رغوة الصابون . . .

فاذا هما يحسان كأن شيئا يزول عنهما رويدا رويدا . . .
واذا كل منهما يردد من أعماق نفسه متعجبا متسائلا : « من
أنا ؟ ومن هذا الذي بجواري ؟ » وخرج من هذا البحر
من خرج اذعانا لاوامر المساعدين ، وبقيا هما حتى أشار
اليهما المساعد الموكل بهما ، فخرجا كما تخرج اللوحة
المكتوبة من الماء . . . لا أثر في نفسيهما لحرف واحد من
حروف حياتهما الماضية . وأعادهما المساعد الى « الملاك »
وقد جاءت نوبتهما في المثل أمامه ، لتوزيع الادوار الجديدة ،
فسأل كلا منهما :

— هل تعرف من أنت ؟ وأين كنت ؟ . وهل تعرف من
هذا الذي بجوارك ؟

فأشار كل منهما بالنفي . فقال « الملاك » كالمخاطب لنفسه
وهو يراجع سجله الضخم :

- انى وعدت مع ذلك أن أجمعكما مرة أخرى .
دوران يصلحان لذلك ، فلتكن أنت اذن طيارا رياضيا .
وأنت فتاة عاطفية .. أيها المساعد .. اقذف بهما الى مسرح
« الارض »



كل شيء كان قد أعد ليصير « هو » طيارا ، فقد خرج
الى الدنيا طفلا فى أسرة متوسطة المركز طيبة المنبت، وشغف
فى حياته بالالعاب الرياضية ، وغدا فتى وتعلم فى المدارس ،
وأصبحت له ميول وموجهات ، بعضها يدافع البعض، ولكن
الظروف النهائية وجهته على الرغم من كل شيء الى الطيران،
فدرسه ، والتحق باحدى شركات الملاحة الجوية . أما
« هى » فقد شبت خيالية النزعة مدللة مترفة فى أسرة ميسورة
الحال، مفككة الاخلاق. الأب مشغول بنفسه وملاهيته، والأم
ساذجة ضعيفة الارادة . وولعت الفتاة بالرقص والحياة
الصاخبة الحديثة . وكان « هو » فى طرف من المجتمع
و « هى » فى طرف ، ولم يكن من السهل أن يلتقيا . فهو
لا يرتاد المجتمعات التى ترتادها هى ، ومع ذلك فقد كان
لابد من التلاقى ... وقد حدث ...

كان يقود طائرته ذات يوم . وكان الباب الصغير الذى يفصل بين مكان قيادته وبين مكان الركاب مفتوحا على غير العادة ، فلمح فى أحد المقاعد فتاة تقرأ إحدى المجلات . ما كاد يراها حتى ارتجف ، وارتجفت معه الطائرة بمن فيها ، فقد غفل لحظة عن قيادتها . وانزعج الركاب قليلا ، ورفعت الفتاة أهدابها الطويلة . فتقابلت عيناهما . وعجب مهندس اللاسلكى لما حدث ونظر الى الطيار بجواره ، فألفاه يصيح بين ضوضاء المحركات قائلا : « انى أعرفها . أين رأيتهما ؟ متى رأيتهما ؟ » . وما كاد يهبط بالطائرة فى مطار الوصول ، حتى قفز منها وتبع الفتاة ، وتقدم يخاطبها كأنه يعرفها من قبل . أما هى فلم تنهره ولم تغضب منه ، بل أحست الارتياح والرضا ، وشيئا من الاطمئنان الخفى الى هذا الشاب . ومضى هو يقول باخلاص حار :

— انى آسف اذ أضطر أن أقول لك تلك العبارة التى ابتذلها الشبان اليوم : « أين رأيتك من قبل ؟ » ثقى انى لا أتخذها حجة لمحدثك .. ولكنى .. عندما وقع بصرى عليك شعرت فى الحال انى أعرفك وأننى رأيتك فى مكان ما ، انتظرى ... ربما تلاقينا آخر مرة فى ... فى بحر ؟ ...

فأجابت باسمه :

- من الجائز ... فى « بلاج » من هذه « البلاجات » ..

- ربما .. أخشى أن تكون الطائرة قد أزعجتك عندما

ارتجفت

- لا .. انى فقط عند هبوط الطائرة ، أحس عادة بعض

الصداع . ولكن عندى دواء لذلك ..

- قرص واحد من الاسيرين يكفى

فظهر فجأة الارتياح على وجه الفتاة وهمست :

- اسيرين !.. أرجوك .. لا تلفظ هذه الكلمة ،

لا أمقت شيئا مثلما أمقت الاسيرين . ربما اتهمتنى بالحبيل .

ولكنى منذ صغرى أرتاع لمجرد رؤيته .. سامحنى ..

هنالك أشياء تولد فىنا ولا نستطيع لها تعليلا

- لا تؤاخذينى .. انى آسف .. لم أقصد إيذاءك مطلقا

- أعلم ذلك . هذا ليس ذنبك . انما هى نزوة من نزواتى

ليس لها مبرر . ألا يتفق ذلك أحيانا لكثير من الناس ؟ ألا

يحدث لك أنت أيضا أن تكره شيئا بدون سبب ؟

- نعم .. نعم .. أنا أيضا فى الصغر كنت أحس الاغماء

كلما ذكرت أمامى كلمة « عملية جراحية » . وعبتا حاول

أهلى تعليل ذلك . ولكن هذه الحالة زالت بزوال عهد الصبا .. وأصبحت بعدئذ شخصا عاديا ..

- أرايت ؟ فينا أشياء كثيرة متقاربة

- هذا من حسن حظى



منذ تلك المحادثة الاولى ، وهما يشعرا كأن شيئا يجذب أحدهما الى الآخر . ولم يمض قليل حتى تم بينهما الزواج ، ولكن ... مرت الايام وكل منهما يلحظ أنه يسير فى طريق غير طريق الآخر . هو يأتى من عمله متعبا فيجد المنزل يصخب بأنغام «الرومبا» و « الفوكس تروت » و « الهوجى بوجى » فينبهها برفق :

- أما تكفينى طول النهار ضوضاء المحركات ؟.

فتجيبه بتبرم :

- محركات ؟! هذا كل ما تعرفه . أنت لست «روماتيك» وكان يبلع هذا الخلاف بينهما فى الاتجاهات . وكان يعلل النفس بأن هذا طيش قد تمحوه الأمومة . وأنجب منها طفلين جميلين ، ولكن الأمومة لم تقهر عندها المزاج . بل

المزاج هو الذى قهر الأمومة . . . وأمسى الزوج الطيب يجد ليلى زوجته مشغولة كلها بالحفلات والسهرات. وتعدى الأمر الى ما هو أمر . فقد دخل عليها يوما فوجد لديها شابا لا يعرفه . زعمت أنه من رفاق الطفولة ، وأنه أخوها فى الرضاع. وقام بين الزوج وزوجته شجار، حسمه الزوج بالحسنى مراعاة لاولاده . ولكنه أدرك عندئذ أن علة شقائه فى الحياة هى هذه المرأة . وكرت الليالى حمراء بالنسبة الى الزوجة اللعوب ، بيضاء من السهاد ، سوداء من الهم ، بالنسبة الى الزوج المنكود. ولم يعد يحسن عمله لقلة نومه واعتلال صحته ، وسمع همسا فى الشركة المتدمرة ينذر بالشر ، كما سمع همسا عن سلوك امرأته يندى له الجبين الحر . وأكلت نفسه الهموم ، ونخرت فى قلبه الشكوك . . وفى ذات ليلة دهم زوجته وهى فى أحضان شاب . فارتاعت وقالت متلعثمة انه معلم رقص يعلمها الرقصة الجديدة. وفقد الزوج صوابه فأخرج مسدسه وأطلق على زوجته رصاصة أردتها قتيلا . وقفز « معلم الرقص » المزعوم قفزة « فوكس تروت » من أعلى السلم وهرب كما يهرب الثعلب من حظيرة الدجاجة . . وسمع الجيران الطلق النارى ، فصاحوا، وأقبل « البوليس » ينفخ فى صفارته وثاب الزوج الى رشده ،

وفطن الى الفضيحة، فأفرغ في رأسه رصاصة أخرى أردته
قتيلا هو الآخر ...

ورفع « الملاك » بصره من فوق سجله الضخم على شجار
روحين داخلين عليه ... أحدهما يقول للآخر :

- سخيّف !. أقسم أنك سخيّف . تطلق على مسدسك
لسبب تافه كهذا؟! ما أضيق ذهنك أيها الزوج المغفل !..
ولكن هل ينتظر من مثلك تصرف غير هذا؟! انك طول
عمرك كنت زوجا مغفلا !..

- اسكتي أيتها المرأة.. لا داعي لسلطة اللسان!.. ولكن
الذنب ليس ذنبك .. الذنب ذنبي أنا .. لا شك أنني جنت
حتى أقتلك وأقتل نفسي معك في نفس الوقت. ما الفائدة؟.
ماذا فعلت أنا اذن؟.. ها أنت ذى معنى هنا أيضا ..
يا للمصيبة !.. يا للمصيبة !..

ولم يجد « الملاك » بدا من التدخل ، فصاح فيهما طالبا
اليهما السكون واحترام المكان .. فتقدم اليه الزوج - أو
على الأصح روحه - صارخا متوسلا :

- يا ملائكة السماء!.. يا شياطين جهنم!.. يا نفاريت
الجن .. خلصونى من هذه المرأة !..

نصيب

فى حياة كل رجل لحظة يشعر فيها فجأة بأنه مثل غطاء
الطبق الذى لا يجد طبقه ، والويل لمن لا يفتن الى هذا
الشعور الا متأخرا ، انه يترك عندئذ كل شىء وينقلب مجنونا
بتلك الفكرة المسيطرة : البحث عن شطره الآخر . كان
بطل هذه القصة من هذا النوع من الرجال . شاب مجد
طموح تخرج فى الجامعات مهندسا بارعا . درس فى مصر
ثم فى الخارج وكان فى مقدمة أقرانه دائما . لا يعرف غير
العمل ولا تنظر عيناه غير طريق مستقبله الناجح . وقد ركض
فى هذا الطريق بالفعل حتى بلغ درجة « مدير أعمال »
وكاد يشرف على الخامسة والثلاثين وهو مستغرق هذا
الاستغراق فى عمله الهندسى . واذا بغتة تدهمه هذه اللحظة
الحاسمة . واذا هذا الغطاء الذى كان يجرى على « سنه »
ناهبا الأرض كأنه كل شىء ، قد اصطدم بجدار تلك اللحظة
العجيبة ، فوقف ودار حول نفسه دورات ثم انبطح على
ظهره ورن معدنه رنينا مكتوما وكأنه يهمس : « ما أنت الا
غطاء الطبق ! » وأفاق المهندس بعدئذ وليس فى رأسه غير
فكرة واحدة : الزواج

ودهش أصدقاؤه لرنين هذه الكلمة في فمه ، فهم لم
 يسمعوها قط منه ، ما الذى حدث ؟ وهم الذين طالما فاتحوه
 من قبل فى هذا الأمر ، فلم يجدوا منه غير الصدوف وعدم
 المبالاة . لقد كان كلما ذكرت أمامه « الزوجة » - أو النصف
 الآخر ، أو « شريكة الحياة » - يبدو عليه كأن الموضوع
 لا يعنيه ولا يفهم مغزاه ، ويسم أحيانا ابتسامة المتعجب لغلو
 الناس فى الوصف واسرافهم فى التعبير . لقد كان يحس
 احساسا أكيدا أنه كامل بنفسه . وانه واحد صحيح
 لا نصف ولا ثلث ولا كسر من عدد . انه درس الحساب
 والجبر والرياضيات العليا فمندا يقنعه بأنه أقل من رقم ،
 وأنه نصف فقط ، وأن هنالك نصفاً آخر فى مكان ما ينقصه
 ليكون الناتج واحدا صحيحا ؟ هذه المسألة الحسابية الالامية
 من الذى وضعها ؟ ولماذا ؟ ولمصلحة من ؟ لا .. لا .. انه
 لا يظن الطبيعة مشغوفة الى هذا الحد هى الاخرى بعلم
 الحساب .. لتجعل من الرجال والنساء أرقاما أو
 كسورا من أرقام تجمع بينها وتطرح . كان هذا كلامه فيما
 مضى . أما الآن فهو يقول لأصحابه : « صدقتم . الحياة
 حساب .. الحياة مسألة حسابية . أنا كسر .. أنا نصف ..
 اجمعونى من فضلكم على النصف الآخر ! » . لكن بقيت المعضلة

الكبرى : كيف العثور على ذلك النصف ؟ هل يترك الأمر للمصادفة أو عليه هو بالسعى ؟ هل القدر هو الذى يخط على لوح الوجود - بالطباشير - جامعا الأَنصاف بعضها الى بعض ؟ أو أن على الرقم المشطور أن ينفلت هو بنفسه من تحت اصبع القدر وطباشيرته ويسرع زاحفا على اللوح بحثا عن بقيته ؟ ولبت المهندس أياما لا يلقي على معارفه المتزوجين غير هذا السؤال الذى لا يتغير : « كيف عرفت زوجتك ؟ » ، وكانت الاجابات مختلفة ، فمنهم من يقول : « رأيتها فى سهرة عند بعض الاقارب أو الاصدقاء » ، ومنهم من يجيب : « قابلتها فى سوق خيرية فأعجبتنى ، فسألت عنها » ، ومنهم من يذكر : « كانت على البلاج ، فتبعتها وعرفت عنوانها » ، ومنهم - وهم الندره فى هذا الزمان ممن يؤمنون بالنصيب أو اليانصيب ، ولا يرضون بطرائق الاختيار الحديثة - همسوا له : « والله البركة فى الخاطبة أم شلبى » . وراح المهندس فى هذه الاساليب جديدها وقديمها ، ولكنه لم ينكر ولم يرفض ولم يعترض ... لقد قبلها كلها . كل سبيل يؤدى الى شطره الآخر لن يتردد فى سلوكه . لقد فتح عينيه واسعتين وذهب بهما يجوس خلال السهرات والطرقات والشواشيء والاسواق . لكن ... وا أسفاه ، أما هذه

فقصيرة وأما تلك فطويلة .. والاولى أنفها لا يروقه والثانية
فمها لا يعجبه .. ثم اذا هو أغضى عن المظهر فمن يديره
بالمخبر ؟ لقد جند كل أصدقائه وزوجاتهم للبحث معه .
ذلك أنه لم يكن له أقارب فى القاهرة ... فان أهله فى
الريف .. وليسوا ممن يحسنون فهم ما يريد .. ولم تكن
صلته بهم تبيح لهم التدخل فى شؤنه ، فقد كانوا أقارب من
درجة بعيدة .. لان والديه ماتا بعد تخرجه فى الجامعة
بقليل ... لذلك كان اعتماده على معارفه .. وأغلبهم كان
يرتاب فى أنه يأخذ الأمر اليوم على سبيل الجد . فكانت
معاوتهم له ضئيلة فاترة فى أكثر الاحيان ، ثم زادهم فتورا
وانفضاضا من حوله ما رأوه من تردده فى الاختيار وعدم
بته فى الأمر ، وبذخ كل فتاة عرضت عليه بحجج مختلفة .
على أنه لم يكن فى الحقيقة متعنتا ولا متعللا ، انما هو ذهنه
كان قد صور له امرأة بملامحها وخصالها ، وأوهمه أن تلك
هى نصفه الذى لا يرضى به بديلا . فهو لا يريد أن ينتقى
الا طبقا للنموذج الموضوع فى رأسه . وطال بحثه عبثا وذهب
جريه سدى . فبعد ذات مساء يائسا ونظر الى السماء قائلا :
« تعبت أيها القدر ! الكلمة لك أنت الآن . سأغمض عيني
وأمد يدي ، فضع فيها من ثناء ! » . وما جاء الصباح حتى

أرسل في طلب الخاطبة أم شلبي ، نعم ... ولم لا ؟ ما دام
قد نزل عن نماذجه وصوره ، وقنع بالنصيب المكتوب في
اللوح ، وآسلم قياده للقدر يخط بيده ما يريد .. فماذا
يصنع غير ذلك ؟ أليست أم شلبي من عملاء القدر أو من
أدواته ؟ ... من يدري ؟ لعلها هي الطباشيرة في أصبعه .
اذ لا يمكن للقدر أن تكون له وسيلة أخرى يفرض بها في
مثل هذا الأمر ارادته السماوية . وأقبلت تلك « الطباشيرة »
فاذا هي امرأة ضخمة بدينة سمينة جسيمة كأنها فيل . وهل
ينتظر أن يملأ يد القدر أو يليق بأصبعه حجم أقل من هذا
الحجم ؟! وعرض المهندس الخاطب طلبته ، ووصف لها على
قدر الامكان بغيته . فمضت المرأة واختفت أياما ثم عادت
ومعها سجل حافل بأسماء الأشر ، ومنديل كبير يضم عددا
من الصور الفوتوغرافية لفتيات على كل طراز . فوقع في حيرة
جديدة : كيف يتخير وأيها يختار؟ وحدثته الخاطبة فيما حدثت
عن فتاة تصلح له .. ولكن - يا خسارة ! - تقدم اليها
خاطب طيب ليس من السهل رفضه . تصلح لي ؟ وأين
صورتها ؟ .. وخيل الى المهندس في تلك اللحظة أن هذه
الفتاة هي امرأته ونصفه وحلمه ، وأن عليه أن يخطفها
من منافسه اختطافا . وأين صورتها ؟ فقالت الخاطبة ان

أهلها رفضوا كل الرفض أن يعطوها أية صورة لها ...
 ولكنها جميلة وأى جمال ... فتشبت المهندس بأذيال الخاطبة
 وصاح : « لابد من الصورة » . ففكرت مليا ثم نظرت اليه
 نظرة دهاء ، فمثلها لا يعجز عن الحيلة . لقد لمحت فى بهو
 الدار صورة الفتاة معلقة على الحائط .. فهى ستذهب اليهم
 لتخبرهم بأمره .. ثم تغافلهم وتخطف الصورة المعلقة وتأتى
 بها اليه . نهضت من فورها وذهبت وتركت المهندس فريسة
 ذلك الاحساس . انها هى . انها هى .. لقد وجدها أخيرا
 ما سر هذا الشعور ؟ أترأه الغموض الذى يشملها ؟ انه لم
 يرها وينازعه فيها منذ الآن منازع .. كيف هى ؟ وهل
 يفوز بها ؟ انه واثق أن صورتها هى صورة المرأة التى يبحث
 عنها . ولبت يفكر فى ذلك طول مسائه ... وتقدم الليل
 وأراد أن يأوى الى فراشه ... ولكن النوم استعصى عليه
 فقام وأضاء المصباح الكهربائى الصغير فوق رأسه ، وتناول
 كتابا يهدىء من أعصابه الثائرة .. واذا نظره يقع على صفحة
 تحتوى قصة قديمة لرجل من بلاد السند كان يبحث هو
 أيضا عن زوجة أحلامه ، فكان بحثا ممضا على غير طائل ،
 فقال له قائل : « لا تيأس . ابحث عن الزوجة ولو فى الصين »
 فلم يبطئ الرجل . وركب فى الحال البحر الى بلاد الصين

فكسر المركب به وبمن معه فى وسط البحر. فنجأ مع بعض
القوم على خشبة من خشب المركب ، ووقعوا فى مكان
لا يدرى أى مكان هو، فأقاموا فيه أياما لا يجدون قوتا حتى
أشرفوا على الموت ، فقال بعضهم لبعض : « تعالوا نعاهد الله
على أنفسنا أن ندع له شيئا فلعله يرحمنا ويخلصنا من هذه
الشدة » فقال بعضهم : « أصوم فى كل عام شهرين » ،
وقال البعض : « أصلى فى كل ساعة ركعتين » ،
وهكذا . الى أن قال كل منهم شيئا والرجل طالب الزوجة
ساكت فقالوا له : « قل شيئا ! » ، فحار ولم يجيء على لسانه
الا قوله : « لا آكل لحم فيل أبدا ! » ، فصاحوا به : « الهزل
فى مثل هذا الحال ؟ ! » ، فأجابهم : « والله ما تعمدت الهزل ،
ولكنى منذ بدأتم وأنا أعرض على نفسى شيئا أدعه لله فلا
يخطر على بالى غير الذى لفظت به » . ومرت اللحظات بهم ،
فقال أحدهم : « لم لا نطوف فى هذه الارض متفرقين بحثا
عن القوت ، فمن وجد شيئا أنذر به الباقين ، والموعد هذه
الشجرة ؟ » . فتفرقوا فى الطرق ، واذا أحدهم يرجع بعد
قليل بولد فيل صغير ، فلوح بعضهم لبعض فاجتمعوا .
وأخذوا الفيل الصغير واحتالوا فيه حتى شوهوه ، وقعدوا
يأكلون ، وقالوا للباحث عن الزوجة : « تقدم وكل معنا » ،

فقال : « أنسيتم أنى منذ ساعة تركته لله ؟ انى لن أرجع
فى شىء تركته لله أبدا... ولو كان فى ذلك موتى جوعا » ،
وأكل أصحابه بدونه ، وأقبل الليل ففارقوا الى مواضعهم
التي كانوا فيها يبيتون . وأوى هو الى أصل شجرة كان
يبيت عندها ، فلم يكن الا لحظة ، واذا بفيل عظيم قد أقبل
وهو ينعر والحلاء كله يندك بنعيره ، وهو يطلب القوم . فقال
بعضهم : « قد حضر الأجل » ، فاستسلموا وتشهدوا
وأخذوا فى الاستغفار والتسبيح ، وطحروا أنفسهم على
وجوههم ، فجعل الفيل يقصد واحدا واحدا ، فيشمه من
أول جسده الى آخره فإذا لم يبق فيه موضع الا شمه ، شال
احدى قوائمه فوضعها عليه ففسخه ثم تركه كالعجين ، وقصد
آخر ففعل به مثل ما فعل بالأول ... الى أن لم يبق من
القوم غير الباحث عن الزوجة ، وهو جالس منتصب يشاهد
ما يجرى ويستغفر ويسبح ويقول : « قاتل الله ذلك الذى
نصحنى هذه النصيحة الشؤم » ، وأخرجنى من بلادى فى
طلب .. » ولم يتم كلامه ... فان الفيل لم يمهله وقصده
للفور . فارتمى الرجل على ظهره مستقبلا الموت ، وجعل
الفيل يشمه كما شم أصحابه من قبل ، ثم أعاد شمه مرتين
أو أكثر ، ولم يكن فعل ذلك بأحد من الآخرين ، وروح

الرجل فى خلال ذلك تكاد تخرج فزعاً.. ثم لف خرطومہ
عليه فشاله فى الهواء ، فظنه الرجل يريد قتله بقتلة أخرى،
فجهر بالاستغفار ولكن الفيل رفعه بخرطومہ وأجلسه فوق
ظهره ، وانطلق به يهرول تارة ، ويتهادى أخرى .. الى
أن طلع الفجر واشتد ضوءه ، فاذا الفيل قد أنزله من
ظهره ، وتركه على الارض أمام باب قصر فخم .. ورجع
الى الطريق التى جاء منها .. ولبت الرجل فى موضعه
لا يعقل ولا يعى من الفزع والجزع .. ولم يثب الى رشده
الا وهو داخل القصر .. فانتبه الى نفسه .. فاذا هو فى
فراش وثير وثياب جديدة والى جواره فتاة كالبدرة هى ابنة
صاحب الدار ... طفقت تعنى به وهو ينظر اليها ويهمس
قائلاً : « أمن الموت الى الحياة .. وأى حياة ! انها هى ..
هى ! » نعم كانت هى ضالته التى تجشم من أجلها السفر
والبحر والخطر ... فقد تزوجها بعد ذلك وكانت نعم
الزوجة والحدين والشريك ...

وانتهى المهندس من مطالعة هذه القصة القديمة ، وهو
يقول لنفسه : أم شلبى... هذا الفيل الآدمى.. من يدري
.. لعلها هى الاخرى تحملنى غدا الى تلك الأسرة التى
أجد فى فتاتها ضالتي !.. وطلع الصبح . وانتصف النهار

.. وجاءت الخاطبة تحمل فى ملاءتها ، صورة فى اطار ،
أمسك بها المهندس متلهفا وتفرس فيها مليا .. ثم طفق
يقول كالمخاطب لنفسه : « نعم .. لا بأس .. حقيقة انى
أردت امرأتى هكذا ! » . وسجبت أم شلبى الصورة من يده
برفق ، قائلة له انها ستقع فى الحرج اذا تفقدوا الصورة قبل
ردها ... وأن عليها الآن أن تعود بها فورا لتضعها فى
مكانها .. وأن ما يجب عليه عمله منذ الساعة وقد راقته
الفتاة أن يمضى قدما الى أهلها فيعرض طلبه ، قبل أن يرتبطوا
بالمخاطب الآخر ، واذا شاء فانها تدبر له موعد المواجهة مع
أبيها فى أقرب وقت .. فقال لها : « نعم ، أسرعى ...
الخير فيما اختاره الله .. »

لم يمض يوم حتى عادت أم شلبى تلهث وتدعوه الى زيارة
والد العروس ، عصر ذلك اليوم ، وتوصيه أن يكون حريصا
على الذهاب فى الموعد المحدد بغير ابطاء ولا تأخير ، فان أهل
الفتاة رفضوا بادئ الأمر الكلام فى شأن أى خاطب جديد
فهم قد رضوا عن الخاطب الاول ، ولم يروا مبررا لترك هذا
الباب مفتوحا بعد ذلك ، ولكن الخاطبة بذلت أعظم الجهد
فى اقناعهم بمقابلة هذا المهندس الكفاء ، فمن يعلم أين
النصيب ؟ وما ضرهم أن يأذنوا له فى زيارة قصيرة ، لقد

احتالت وصنعت ما استطاعت لتفتح له ذلك الطريق المغلق ، فلم يبق الا أن يصنع هو ما يستطيع ليقنع والد البنت ، وهو شيخ وقور متقاعد من رجال الجيش ، دقيق فى نظامه ، صارم فى أحكامه ، فقال المهندس للخاطبة : « لا تخافى . فى الساعة الخامسة بالضبط أكون هناك ! » . وقد بر بوعده ، فما أزفت الرابعة والنصف حتى كان قد تهيأ وتجهز وارتدى خير ثيابه ، ووقف أمام المرأة يضع منديله الحريرى فى جيب الصدر ، وينظر اليه وقد تدلى وتهدل ، فرأى أن يخفى بعضه ولا يبرز غير طرفه ، اعتدالا فى ادعاء الأناقة ، واقتصادا فى ابداء الخلاء ، ورضى عن مظهره .. فنزل الى الطريق قاصدا بيت العروس ، وسار فى الشارع وكل شىء فيه مبتهج فرح ، وقد غمر الاطمئنان قلبه فبدد حيرته ، لقد انتقى له القدر شريكته ، فلم يبق الا أن يتقبلها منه شاكرا ، آه للانسان ! ما أشد عجزه ! هنالك مسائل لا يرتاح الى حلها الا اذا سقط عليه المفتاح من السماء ! وهنالك مواقف يواجه فيها الانسان مفرق طرق ، فلا يسعفه الا دفعة فى ظهره من يد القدر نحو احداها . . كانت مثل هذه الحواطر تجول فى ذهن المهندس وهو يواجه مفرق طرق « ميدان سليمان باشا » واذا هو فجأة يحس دفعة فى ظهره شديدة

قاصمة قد طرحته على الارض ، واذا شئ كالعجلات يمر فوق جسمه .. وكان هذا مبلغ وعيه لكل ما حدث ..

ليس يدري على التحقيق كم من الزمن مضى عليه وهو فى اغمائه ، لكنه عندما تنبه وجد نفسه على فراش وثير فى سرير مستشفى ، وجسمه كله مغلف بالاربطة الصحية وقد سمع من يهمس حوله قائلا : « لا تتحرك » فحول بصره جهة الصوت ، فرأى طبيبا وممرضا وممرضة فى ثيابهم البيضاء ، وقد علم منهم أنه قد أجريت له عملية « جراحية » وأنه قد كسر له ضلع ، وأنه فى هذا المستشفى منذ أيام ، وأن حالته كانت خطيرة بادية الأمر ، ولكن الخطر زال عنه الآن .. وأنه سائر فى طريق الشفاء . وأراد المريض أن يتكلم وأن يستفسر فمنعه الطبيب من بذل أى حركة أو جهد ... ولم يسمح له الا بالرد المقتضب على أسئلة رجال الضبط الذين جاءوا لسماع أقواله فى الحادث ، وقد أجابهم بأنه لم ير شيئا ... لا السيارة التى صدمته ولا لونها ولا سائقها. فختموا محضر تحقيقهم وانصرفوا عنه ، وتأمل هو حاله لحظة واكتفى بالهمس فى أعماق نفسه :

- ضلع مكسور !. هذا كل ما وصلت اليه .. أنا الآن كسر بحق ... دون أن أظفر مع ذلك بالتي تكملنى !

نم ذكر آخر يوم كان فيه صحيحا .. وكان سائرا الى
بيت العروس .. ترى ماذا تم فى هذا الامر ؟ أترى الفتاة
ما برحت من نصيبه ؟ أم أن الحاطب الاول قد سبقه اليها ،
بينما هو طريق ، كالجواد الذى سقط فى ميدان السباق ؟
كيف السبيل الى معرفة النتيجة ؟ لو استطاع على الاقل أن
يبحث فى طلب « أم شلبى » ليعلم منها ... ولكن ما الحيلة
فى هذا الطبيب الذى يمنعه من الكلام والحركة ؟ فليصبر
يوما آخر أو يومين .. يا لسوء حظه اذا كان قد فقدوها
بسبب هذا الحادث ! الويل للجانى الذى صدمه عند ذاك .
انه لن يغتفر له أبدا .. لا كسر ضلعه ، بل تلك الطامة
الاخري ، ضياع نصفه الآخر بعد أن عثر عليه ..

وحانت منه التفاتة الى ما حوله ، فوجد ما أدهشه :
باقات من الورد والازهار الغالية فى الاتيات ، وقارورات
فاخرات من ماء « الكلوينا » ، وكتب مجلدة مذهبة لقتل الوقت ،
وصنايق ثمينة مفعمة بالحلوى ومملوءة بالسجائر ... وكل
ما يمكن أن يهدى الى مريض معزز مدلل . عجبا ! . من
هذا الذى يهتم بترفيه كل هذا الاهتمام ، ويعنى بشخصه
كل هذه العناية ؟! وسأل طبيبه بايماءة من عينه عن أحضر
كل هذه الهدايا .. فلم يزد الطبيب تلى أن قال بسرعة

وبلهجة من يقول شيئا معروفا للجميع :

- الست

والتفت الطبيب الى مرءوسيه يصدر اليهم الاوامر الاخيرة قبل انصرافه . وغادر الجميع الحجرة من فورهم ، تاركين المريض مستغرقا في الدهشة : « الست » ! ومن هي هذه « الست » ؟! وعادت الممرضة وفي يدها أنبوبة زجاجية وحقنة ، ملائتها ثم وخزت المريض بابرتها .. فانتظر حتى فرغت من عملها ، فسألها أن تحدثه قليلا عن تلك « الست » .. وكانت الممرضة ثائرة .. فتدفقت تصفها بأنها أجمل وأكرم سيدة رأتها ...

وظفت تخبر المهندس المريض بطائفة من التفاصيل لم تزد الا عجبا واستغرابا ، فهذه « الست » الحسنة تأتي كل يوم لتسأل عن صحته .. وهي في كل مرة تأتي بالازهار الجميلة ، وتضع النقود في أيدي ممرضيه بسخاء وترجوهم أن يخصوه بكل عنايتهم ، وأنها كانت في ساعات الخطر الاولى تسأل عن تطورات حالته في جوف الليل بالتليفون عدة مرات .. وأنها حضرت « العملية الجراحية » منتظرة في حجرة مجاورة كي تطمئن على عواقبها . وأنها أضرت على استدعاء « كونسولتو » من الاطباء قبل اجرائها لتزداد

اطمئنانا ... وأنها دفعت نفقات كل ذلك من جيبتها بدون تردد .. بل الاعجب أن وجوده فى هذا المستشفى فى هذه الحجرة من الدرجة الاولى الممتازة بكل ما يلزم له من علاج وغذاء ورفاهية وترف هى التى تتولى نفقاته وأن المال يسيل من بين أصابعها كالماء فى هذا المستشفى من أجله .. ولا هم لها ولا تفكير الا فى شىء واحد : « انقاذ حياته بأى ثمن » .. تلك هى كلمتها التى ترددها كل يوم وكلما جاءت .. ولكل من تقابل من أطباء وممرضين .. وختمت الممرضة حديثها قائلة ببساطة :

— طبعاً .. زوجتك .. طبعى أنها تهتم بحالتك وتضحى بكل شىء ! .. ان شاء الله أبشرها بالاخبار السارة عن قريب ! ..

وخرجت من الحجرة مسرعة ، وتركته يقول كالمخبول :
— زوجتى ؟! ..

وجعل يعالج حل هذا اللغز ، الى أن اهتدى الى رأى شبه معقول :

لعل هذه « الست » التى يحسبونها هنا زوجته ليست فى حقيقة الأمر سوى تلك الفتاة « العروس » التى كان ذاهبا لخطبتها . ولعلها علمت بالحادث ، وأثر فى نفسها ما وقع له

وهو فى طريقه اليها . فحملها ذلك التأثير الشديد لهذا
الاخلاص كله على العناية به . اذا كان ذلك حقا فهى اذن
الشريكة المشودة . نعم ما أكرم نفسها ! وما أسعده بعملها !
ثم لماذا تتحمل هى نفقات علاجه ؟ أتراها اعتبرت نفسها
زوجته منذ الآن ، لمجرد أنه كان ذاهبا يطلب يدها ؟ ..
اذا كان هذا ما وقع فى نفسها ، فانه ليقرها عليه .. فهو
أيضا يعدها زوجته من الآن .. بل منذ اللحظة التى سقط
فيها تحت السيارة من أجلها ... يا لها من زوجة عزيزة
.. ان رسمها فى رأسه الساعة مشوش مختلط .. ولكنه
مع ذلك يذكر بعض ملامحها التى شاهدها فى الصورة ذات
الاطار .. لا بد له على أى حال أن يراها سريعا ، ليشكرها
على الأقل . وانتظر حتى جاءت الممرضة فقال لها :

- أريد أن أرى ... زوجتى ...

فأجابته الممرضة بأنها لم تحضر بعد ، ووعدته بأن تدخلها
عليه توا عند حضورها . ولبت المريض يعد فى انتظارها
الدقائق ثم الساعات ، ثم جاءه الليل ، ثم مر يوم وثلاثة
وأربعة ... دون أن يسمع من الممرضة سوى ألفاظ
الدهشة والاستغراب . فهى أيضا تعجب لاختفاء هذه السيدة
الآن .. بعد أن كانت تجيء المستشفى فى اليوم مرتين ..

ووقع المهندس لا فى الهم والغم وحدهما بل فى الحيرة أيضا
والحرج... بماذا يعلل للممرضة وللآخرين هذا التصرف
العجيب من زوجته المزعومة ؟. فآثر الصمت أمامهم
والاقلاع عن ذكرها . ولكنه ظل الايام يحاول عبثا أن
يكشف لنفسه حقيقة هذا السر . الى أن بدرت ذات يوم
من الطبيب بادرة أنارت قليلا هذا الأمر . فقد قال له وهو
يفحص ضلعه المكسور :

- حالتك الآن على ما يرام . تستطيع الآن أن تضطجع
على وسادة خلف ظهرك ، وأن تتكلم كما تشاء.. وأن تقرأ
هذه الكتب والصحف والمجلات التى ترسلها لك الست..
فصاح المريض كالغريق الذى وجد خشبة :
- الست ؟.. أين الست ؟..

فقال الطبيب باسم :

- انها الآن مطمئنة غاية الاطمئنان بعد أن أكدت لها منذ
أسبوع زوال كل خطر ..

- ولكنى ... أغنى ... هل حضرت ؟

- لا.. لقد قالت لى فى آخر مرة انها لم تعد ترى ضرورة
للحضور ، ما دام الخطر قد زال ... وأنها تكتفى الآن
بالسؤال عن الحالة بالتليفون مرة كل يومين أو ثلاثة ...

- هل أستطيع أن أكلف أحدا بطلبها بالتليفون ؟
 - بالتأكيد .. اعط رقم التليفون للممرضة وهى تقوم
 بذلك فى الحال اذا شئت
 - رقم تليفون « الست » معروف هنا طبعا ..
 - لا أظن .. انها هى التى تطلبنا دائما ... ومع ذلك
 ألا تعرف أنت الرقم ؟..
 - آه .. طبعا .. طبعا ..

وضحك ضحكة يخفى بها ورطته .. وانصرف الطبيب ،
 وتركه يتخبط فى ظلام أكثف مما كان فيه . من هذه
 السيدة التى تعطف عليه كل هذا العطف وهو فى الخطر ،
 فاذا انقشعت غمته وتحسنت حالته ، انصرفت عنه فى غير
 اكتراث كأنها لا تعرفه ؟! ثم كيف يتصل بها الآن والمسالك
 دونها موصدة ؟ ونادى الممرضة ورجا منها أن تبحث فى
 ادارة المستشفى وفى كل مكان عن عنوان « الست » أو رقم
 تليفونها . موهما اياها أن زوجته هذه تعتمد اخفاء مكانها
 عنه وتكلف هذا التصرف معه ، لاسباب خاصة ، لكن
 الممرضة لم تعثر لهذه السيدة على عنوان معروف ولا على
 رقم تليفون .. وكل ما يعلمونه عنها فى المستشفى أنها هى
 التى تحضر وهى التى تستفسر دون أن تترك خلفها أثرا ..

ولم يجد المريض آخر الأمر غير وسيلة واحدة .. ما كاد
يهتدى إليها حتى صاح فرحا كمن وجد الفرج... والتفت
إلى الممرضة قائلاً :

- اسمعى ! .. أرجوك .. إذا سألت عنى « الست »
بالتليفون فى المرة القادمة ، فأخبريها أنه قد حدثت لى نكسة ،
وانى لن أعيش أكثر من ساعتين !

فترددت الممرضة . فاقنعتها بورقة مالية دسها فى كفها ..
فقبلت المجازفة بهذه الاكذوبة لوقت محدود . ومضى يومان
.. واذا الممرضة تدخل على المهندس مهزولة لاهثة وهى
تقول :

- تكلمت ..

- صحيح ؟ .. تكلمت ؟ ..

قالها وقد كاد قلبه يشب من جوفه . فأكدت له الممرضة
أن « الست » تكلمت الساعة بالتليفون لتستفسر ، فأجابتها
بالرد المتفق عليه ، فدعرت وألقت بالساعة ، وهى قادمة
بعد دقيقتين . فلم يدر المريض ما يصنع من الفرح .. ومد
يده على غير وعى منه يلتمس زجاجة عطر الكلونيا ليتطيب
... وهو يوصى الممرضة أن تدخلها عليه للفور ، وأن
لا تنسى أنه يحتضر... وخرجت الممرضة تستقبل القادمة .

ولم يمض قليل حتى سمع المريض صوت المرأتين يقترب
.. فأغلق عينيه نصف اغلاق ، واستلقى بلا حراك ومثل
دور من يموت ... ودخلت « زوجته » المزعومة وتسمرت
بالعتبة تنظر اليه شاحبة الوجه .. فكاد ممثل الموت يموت
حقا .. من هذه المرأة ؟ انها ليست صاحبة الصورة التي
فى الاطار !.. هو الذى وطن النفس وأعد الذهن لرؤية
امرأة يعرفها .. أو يعرف رسمها على الأقل ؟ ها هو ذا
أمام امرأة جديدة لم يرها قط فى حياته ، ولا يدرى عنها
شيئا ... وانهار كل ما كان قد بناه فى لحظة . فليست هذه
المرأة بالعروس التى كان ذاهبا لخطبتها ... وليست هذه
العناية وهذا الاهتمام وليد تلك الاسباب التى كان قد رتبها
واستنبطها واستتجها ... هذه امرأة غريبة عليه وعلى ذهنه
وفكره ... لم يرها من غير شك فى الماضى ، ولم يصادفها
فى حقيقة أو خيال .. فمن تكون ؟ ومن أين طلعت له ؟
وما سر عنايتها به ولهفتها عليه .. وقلقها فى ساعات أزماته
.. وتكلفتها جميع نفقاته ؟. هذا هو اللغز الذى فاق جميع
ما عداه . ولكن هذه المرأة التى لم يعرفها ولم يرها .. ما
أجملها !.. انه تخيل فعلا يوما ما نوعا من الجمال تمناه فى
امراته ... ولكنه لم يستطع تخيل حسن كهذا .. انه

لكثير عليه هذا الجمال .. ثم ما أروع وجهها فى هذا
الشحوب .. لقد شحب وجهها هكذا حزنا عليه .. أهو فى
يقظة حقا ؟ .. ثم ما هذا الذى يرى .. يا للعجب !.. انها
دمعة فضية تترقرق فى عينيها الواسعتين كأنها قطرة ندى ..
ولم تتحمل الحسناء ألمها - فيما يبدو - أكثر من ذلك .
فاندفعت خارجة من الحجرة ، وهى تمسح دمعها بأناملها
القرمزية الاصداف ، والمرضة فى أثرها .. ولم يبد
المريض حركة ولم يلفظ همسة فقد أذهله ما رأى عن كل
شئ ... ولم يشب الى رشده ، وتستيقظ له ارادة ، الا بعد
أن عادت اليه الممرضة وحدها راجية ملحة فى الرجاء أن
يكف عن هذه الاكذوبة ، وأن يسمح لها أن تخبر الحسناء
بالحقيقة ، قبل أن تتخرج الامور ، ويبلغ ادارة المستشفى
الأمر ، فتعرض هى للمؤاخذه ، ذلك أن « الست » تصر
على استشارة الاطباء ، وبذل كل عطاء لانقاذه من الموت ،
ولم تنتظر الممرضة رأيه أو جوابه .. وأقبلت عليه تعينه
على الاستواء قليلا ... وتضع الوسادة خلف ظهره ، وجذبت
احدى المجلات المصورة ودفعت بها اليه ، وأعلنت أنها ذاهبة
تخبر « الست » بالحقيقة ، وتعود بها لتراه وهو فى حالته
الحقيقية ... وخرجت عنه وهو مضطجع كالطفل الذى

لا ارادة له ولا عزم ... المتقبل كل ما يجرى له ويفرض عليه ... وأخذ يعث بصفحات المجلة المصورة بعين زائغة وفكر شارد ... واذا بصره على الرغم منه يقع على صورة يعرفها .. عجباً ! .. انها صورة للعروس التى رأى رسمها فى الاطار .. نعم .. هى بعينها فى ثياب العرس البيضاء والى جانبها شاب فى ثياب السهرة « الفراخ » وتحت الصورة عبارة « قران بهيج » ... لقد زفت اذن الى خاطبها الاول ... حسنا فعلت ، انه لا يأسف الآن عليها كثيراً ... وأرسل بصره الى الباب نافذ الصبر .. معلق الانفاس .. واذا بالمرضة تدخل وهى تجذب الحساء جذبا رفيقا الى داخل الحجرة ، وقدمت اليها مقعدا بجوار السرير ، وانصرفت فى الحال . ومر كل ذلك مرا خاطفا ، فلم يشعر المهندس بالحساء الا وهما منفردان وجها لوجه ، ولم يكن من اليسير أن يجد أحدهما الكلام الذى يبدأ به ... فوقعا أول الأمر فى صمت عميق مخرج ... قطعه الجميلة قائلة ، وكأنما تتنفس الصعداء :

- أف ! . الحمد لله على انك بخير ! لقد كاد يغمى على الساعة عندما حسبتك تموت ! ...

فرنا اليها والى فمها وهى تنطق هذه الكلمات ، وكأنه

لا يصدق أن هذا القول موجه اليه . ثم تمالك قليلا وقال لها :

- حياتى شىء مهم عندك ؟

- جدا

- لا يوجد غير تعليل واحد لكل هذا ، انى مت حقيقة وانتقلت الى جنة الخلد ، وما أنت الا حورية مكلفة بملاطفتى .. ولكن ... أين الشجر والثمر والكوثر .. ولماذا هذا السرير والمرضة والمستشفى !!

- لا .. أنت من حسن الحظ حى ... لانك لو كنت مت ودخلت جنة الخلد ، كنت أنا دخلت السجن

- السجن ؟ وما المناسبة ؟!

- آن الاوان أن أعترف لك يا سيدى بجريمتى . أنا التى صدمتك بسيارتى . وانى بالطبع متأسفة جدا . ولكنه القدر ... أقوى منا ومن ارادتنا وتديرنا . كنت مسرعة وهذا خطأ منى ولا شك .. ولكنى كنت مدفوعة برغبتى فى شراء ثوب حريرى رأيته فى الصباح ، وخفت أن تسبقنى الى شرائه أخرى . وعندما مرت العجلات على جسدك .. لم أقف ومضيت فى السير بعين السرعة .. لا عن قسوة منى

ونقص فى المروءة... بل عن خوف شديد استحوذ على ..
لقد هربت من جسدك الملقى على الارض كمن يهرب من
شبح .. وعدت توا الى بيتنا غائبة العقل . ورأتى والدتى
فها لها اضطرابى ، وقصصت عليها ما حدث ، فنصحتنى أن
أخبر والدى بكل شئ . وهو من رجال القضاء . فلما سمع
والدى القصة حار هو الآخر فيما ينبغى عمله . فان التبليغ
عن هذا الحادث معناه التعرض للحكم اذا مات المصاب ، كما
قال لى ، واذا لم نبلغ فاننا نتحمل تقريع الضمير طول حياتنا ،
وان كرامته كقاض تمنعه من أن ينصح أحدا ولو كان ابنته
بالهرب من العدالة ... وان حنانه كأب يمنعه كذلك من
أن يدفع بابنته الوحيدة الى السجن .. وانهى به التفكير
الى أن ترك لى حرية التصرف .. بعد أن أفهمنى كل النتائج
المحتملة لهذا الفعل .. وجعل يعنفنى على جنونى فى سرعة
القيادة .. ونصحنى أخيرا أن أتبع حال المصاب على الاقل
وأن أعمل على علاجه وانقاذه .. فانه اذا شفى لن يقع على
من العقاب أكثر من غرامة مالية ولهذا بادرت أسأل أقسام
البوليس عن المصاب فى حادث السيارة عصر ذلك اليوم فى
ميدان سليمان باشا ... الى أن اهتديت اليك
وأصغى المهندس الى حديثها ، وكأنه يهبط رويدا رويدا

من السحاب حتى لاصق التراب . وما فرغت روايتها ..
حتى نظر اليها قائلاً :

- يا لك من مجرمة أثيمة ! .. كسرت ضلعي ، وأضعت
خطيتي ، وبددت أحلامي ! . وكل هذا لن تعاقبي عليه بأكثر
من غرامة مالية ! .

- لأنك شفيت والحمد لله !

- أنا شفيت ! وما قيمة شفائي ؟ ان موتى الآن خير من
حياتي ... أكل هذا العطف الذي نلته منك .. وهذه
الدعة التي سقطت من عينيك ، وهذا الشحوب الذي بدا
عليك لم يكن من أجلى ولا خوفاً على ، بل خوفاً على نفسك
من الحبس ؟ ! . اسمعي أيتها الآنسة .. أو الست .. أو
الزوجة المزعومة ..

- الزوجة ؟

- طبعاً .. وماذا تريد أن يكون ظنهم هنا بسيدة مثلك
تعنى هذه العناية برجل مثلي ؟ لقد خطر في بالهم بالضرورة
أنك زوجتي ، ولم يخطر في بالهم أنك قاتلتني !

- لا تقل اني قاتلتك .. فهذا أنت ذا الآن في صحة جيدة

- كم كنت أتمنى أن أموت لتدخل أنت الحبس ..

- الى هذا الحد تبغضنى ؟

- هل أبلغت الحكومة أنك أنت الجانية ؟

- لم أبلغ بعد . . لقد رأيت أن أنتظر حتى تشفى . .

- واذا كنت مت ؟

- كنت ذهبت وقدمت نفسى للبوليس

- أأنت واثقة أن القضاء كان يحكم بحبسك فى حالة

وفاتى من الحادث ؟

- كان ذلك مرجحا لانى من أرباب السوابق

- أنت ؟ من أرباب السوابق ؟!

- نعم . . فى حوادث السيارات . . سبق لى أن صدمت

حمارا محملا بالحطب فى طريق عزبتنا فى صيف العام

الماضى ، ومنذ ستة أشهر صدمت حمارا آخر يحمل قسبا

فى سكة الهرم

- حضرتك اخصائية فى صدم الحمير ؟!

فنظرت اليه وهو مغلف فى أربطته الصحية . . وضحكت

ولم يفظن هو الى « النكتة » ومضى يقول :

- أيتها الجانية . . أنا بصفتى المجنى عليه ، لابد أن يسمع

رأى فى جريمته . هل تريدان حكمى أو حكم المحكمة ؟

- حكمك

- حكمت عليك بالحبس

- تريد حبسى ؟!

- فى أحضان الزوجية

فنظرت اليه وابتسمت ابتسامة المحكوم عليه الذى رضى
بالحكم ولن يستأنفه أو يناقض فيه



مضى عام على زواجهما ، فأدرك المهندس أن « القدر »
حقا قد عرف كيف يهديه الى « طبقه » وشطره ونصفه
وزوجته المثلى .. وقد آمن أن للقدر من الوسائل أحيانا
ما لا يخطر على بال البشر .. وهل كان مثله يتصور أنه
سيلقى شريكته يوما بهذه الطريقة ؟! ان كلمة « النصيب »
التي يذكرها الناس دائما فى بساطة ليست الا مظهرا من
مظاهر فن « القدر » العجيب فى تدبير مصائر الآدميين ..
واحتفلا فى المساء بمرور العام على ذلك الزواج ، فهمس
فى أذن زوجته قائلا :

- كان لابد لحواء أن تأخذ من آدم ضلعا حتى توجد ،
وكان لابد لك من أن تكسرى لى ضلعا حتى أجذك !.

کلیوباترة و ماكن

من أسرار الحرب الاخيرة التي لم يكشف بعد عنها النقاب
ما أرويه الآل . وما من صحيفة فى العالم نشرت هذه
انقصه العربية ، التي قد تصدم منطق الانسان فى القرن
العشرين . ولكن هذا لا يمنع من أنها وقعت بالفعل . وأرجو
أن لا يسألنى سائل عن مصدر علمى بها . فهذا ما أقسمت
أن لا أبوح به لأحد

كان ذلك فى عام ١٩٤٤ ، فى جزيرة ما بالمحيط الباسيفيكي
اتخذها الجنرال « ماك آرثر » مقرا لقيادته فى حربه ضد
اليابان بعد أن اضطر الى الجلاء عن الفلبين ..

كان المساء جميلا . والشفق ما زال يدمى على صفحة
سماء بيضاء كرداء العروس ، والنسيم يهب رقيقا من البحر
الهادىء النائم ...

وكان « ماك آرثر » جالسا فى شرفة مقره بمفرده ، وقد
غرق فى مقعد من القماش كمقاعد الشواطىء ، وأرسل
رأسه الى الوراء على المسند وراح فى شبه اغفاءة .. تحت
وقر لعب والاجهاد ، وثقل الأعباء والتبعات ..

لم ينم طويلا . فقد استيقظ فجأة على صوت مجاديف
تمس الماء كما يمس المرود الجفن ، وموسيقى تحملها الريح ،
وعطور تتضوع فى الهواء .. ففتح عينيه ، فاذا هو أمام
منظر عجيب : سفينة من سفن العصور القديمة ، تتهدى
فوق الامواج مقتربة .. مؤخرتها من الذهب ، وشراعها من
الارجوان ، ومجاديفها من الفضة ، تتحرك على نغم المزامير
... وفى مقصورتها امرأة مستلقية على الحرير كأنها الهة ،
يحرق بين يديها بخور ويتشرب عير ، يلعب بالرؤوس
ويسحر النفوس ...

نزلت تلك المرأة من السفينة ، ومشى وكأنها تخطر فى
الهواء .. نحو مركز القيادة ، وهى تقول :

- « مارك أنطونى » !

ففرح الجنرال الأمريكى عينيه وهو يقول :

- أنا « ماك آرثر » !

- نعم ، أقصد « ماك آرثر » . اليك جئت ، وأنت الذى

أريد ...

- من أنت ؟

- أنا كليوباترا

ففحصها القائد بنظره مليا . . . وتأمل ثيابها ودمقسها
ودمالجها ولاآلها . . ثم التفت الى سفينتها العجيبة ، وهز
رأسه باسمها وقال :

- فهمت ، فهمت . انما الذى أعجب له هو : كيف
استطاعت هوليوود أن تعمل فى هذه المنطقة الحربية بدون
علمى ؟ وكيف حصلت على اذن فى ارتياد هذه المياه المنوعة
لاخراج الافلام التاريخية ؟ وما هى السلطات المختصة التى
يمكن أن تتحمل هذه المسؤولية دون الالتجاء الى رأى ؟!
هذه مسألة خطيرة يا سيدتى ، لا يحسن الاغضاء عنها . . .
ونهض ، وعلى محياه جد وصرامة . . وأراد دخول
مكتبه ليتحرى الأمر فاعترضته الزائرة العظيمة ، ووقفت
بجلالها الملكى ، وقالت بصوتها الملائكى :

- قلت لك أنا كليوباترا ، ملكة مصر . جئت اليك من
العالم الآخر . ولعلها أول مرة يحدث فيها ذلك ، منذ عرف
الناس الحياة وعرفوا الموت . ان عصركم اليوم عصر تقع
فيه أعاجيب ، ولكن الاعجوبة الكبرى هى تمكنى من العودة
الى الدنيا . . كيف تمكنت ؟ هذا ما لا شأن لك ولا لى به .
وأنا لم أحضر لأطلعك على أسرار الموت والحياة . ولكنى
أريد أن تصدقنى . . فلاقل لك اذن ببساطة كيف تم هذا ،

بطريقتكم ولغتكُم التي تفهمونها : انا بعد موتنا نتلاشى روحا
وجسدا كذرات فى الفضاء ... على أن المتعذر دائما هو
جمع هذه الذرات ، من الكون ، مرة أخرى فى عين الجسد
وعين الروح . لقد استطعتم بجهاز الراديو أن تجمعوا من
الفضاء أصواتا وتنقلوا صورا ... ولكن أين للموتى ذلك
الجهاز الذى يجمع ذراتهم المتناثرة ، فى كيانهم القديم
وصورهم الغابرة ؟ لا بد أن توجد قوة هائلة تجذب هذه
الذرات وتجمعها . لقد حدثت هذه المعجزة فيما يختص بى
.. لقد كنت أنت هذا الجهاز ، أو هذه القوة التى جذبتى ،
بدون أن تشعر أنت أو تعى ، انك لا تدرك أى شبه بينك
وبين حبيى السابق « مارك أنطونى » !

قالت ذلك ، و « ماك آرثر » يصغى إليها مشدوها . لكأن
ارادته قد فارقتة .. يدرك هذا من قرأ « بلوتارك » المؤرخ
اليونانى حين وصف كليوباترا .. انها ، على حد قوله ، لم
تكن فى الجمال بالغة ما لم يبلغه غيرها من الجميلات ، ملاحظة
وجهها لم تكن وحدها مبعث فتنتها التاريخية ، انما هو
حديثها الذى كان ينفذ فى القلوب كالشوكة . كان صوتها
هو العذوبة ، ولسانها قيثارة متعددة الاوتار . تعالجهابرشاقة
وتمسها بلباقة ، فى مختلف اللغات واللهجات . ان مقاومة

سحر حديث كليوباترا كان هو المستحيل ..

وهمبس القائد الامريكى كالمخاطب نفسه :

- مارك أنطونى !

- نعم .. ما أعجب الشبه بينك وبينه ! فى وجهه وأنفه وقوامه .. ومشيته ! بل ما أشبه دولتك بدولته .. لقد كان الرومان فاتحى العالم بالسيف ، واليوم الامريكان هم فاتحو العالم بالدولار. كان للرومان مجلس شيوخ و « قيصر » .. وللامريكان مجلس شيوخ و « روزفلت » ..



من اللغو أن نطيل ... فمن البديهي أن نقول : ان « ماك آرثر » وقع فى حب « كليوباترا » .. وهل دنا منها أحد دون أن يسقط فى أتون غرامها ؟ ومنذ ذلك المساء وهما لا يفترقان . كانت معه كما كانت مع « مارك أنطونى » فى أول حبهما . لقد قيل انها والقائد الرومانى كانا متلازمين الليل والنهار . كانا معا يهيمنان فى الطرقات أحيانا يمرحان ويلهوان ... هى متخفية فى زى وصيفة وهو فى زى وصيف .. أما اليوم فانها تلازم القائد الامريكى فى زى « ضابطة » من المجندات ، وقد ألحقت بمكتبه . وهو وضع

طبيعى .. وهل يثير التفات أحد أن يكون للجنرال الامريكى
« سكرتيرة » مجندة فى رداثها العسكرية ؟

لم يكن شئ يعكر صفو جبهما غير شبح .. هو دائما عين
الشبح : الزوجة

فيما مضى كانت هى « فولفيا » زوجة « مارك أنطونى »
التي هجرها فى ايطاليا . واليوم هى مسز « ماك آرثر »
التي تركها فى أمريكا ..

يا له حقا من تشابه عجيب !

كلاهما زوج وأب ، بعيد عن بلاده . وكلاهما يحزن
كليوباترا ويزعجها كلما فكر فى العودة الى امرأته وأولاده .
ولم تلبث مخاوفها أن تحققت . فيها هى ذى المعركة الانتخابية
تقوم فى أمريكا لاختيار « الرئيس » ورشح « روزفلت »
للمرة الرابعة . ولكن نفرا قاموا من جهة أخرى يرشحون
أمامه « ماك آرثر »

هنا نهضت « كليوباترا » تدرأ عن حبها الخطر ، فاستعانت
بقوة سحرها ونفذ فتيتها لتصرف « القائد الامريكى » عن
هذه الفكرة ، كما صرفت من قبل « القائد الرومانى » عن
الذهاب لمحاربة قيصر ..

لعل هذا هو السر الحقيقى فى انسحاب « ماك آرثر » من
معركة الانتخابات الامريكية !

وهكذا ظفرت « كليوباترا » باستبقاء حبيبها الى جانبها
وأقصته عن زوجته ووطنه وذويه ..

على أنها كانت هذه المرة ذات حسن وأثر طيب على
القائد الامريكى . فقد حفزه قربها وألهبه ، فتوالت انتصاراته .
وصار يثب من جزيرة الى جزيرة خلف اليابانيين . يطردهم
منها ويستولى عليها . وهو لا يهرب شيئا الا أن يبدو مندحرا
أمام « كليوباترا » .. حتى تم له الفوز الاخير . واستسلمت
اليابان .. ودخل « ماك آرثر » طوكيو دخول الفاتحين ..
ومرت أيام لم ير القائد أجمل منها . وفى ذات عصر ،
وقفت « كليوباترا » بجواره وأرسلت بصرها الى البحر ،
وقالت :

— أتدرى يا « مارك » .. أقصد يا « ماك » .. ما الذى

يجول فى خاطرى ؟

— ماذا يا « كليو » ؟

— أتذكر يوم جئت اليك تحملنى تلك السفينة الجميلة ؟

لقد كانت هى عين السفينة التى ذهبت فيها الى « مارك » فى
« طوروس » وقد استدعانى لأقدم حسابا عما نسبوه الى من

معاوتى لأعدائه . ولقد أحب أحدنا الآخر بعدئذ .
ولكن برغم ذلك .. أى اذلال وهوان أن يستدعى رأس
متوج ليمثل أمام قائد منتصر !

ما قولك يا « ماك » لو استدعيت امبراطور اليابان ليمثل
بين يديك ؟

فأجفل « ماك أرثر » قليلا لهذه الفكرة .. انه لا يجهل
خطورة الاقدام على هذا العمل الجرىء . ان « الميكادو »
شبه اله فى قومه ..

ونظر الى حبيته مترددا متوجسا .. ولكنها استقبلت
عينيه بنظرة منها أسكرته . فأحس قوة تدب فى قلبه ديب
الخطر .. وقال :

— سأفعل !. سأفعل يا كليو !

ولم تمض أيام حتى كان الامبراطور بقمعته العالية
الرسمية السوداء ، مائلا أمام « ماك أرثر » فى مقر قيادته
وهو بقميصه الكاكي ..

واهتز العالم لهذا الحادث !

واستمرت بعد ذلك اللحظات السعيدة ، يرتع فى ظلها
الحبيبان ، ويضحكان ويلعبان ..

وخرجا ذات يوم للصيد فى خليج طوكيو .. وكاد
النهار يولى و « ماك آرثر » لم يظفر بسمكة . وخجل من
الهزيمة أمام حبيته العظيمة ، فغافلها واتفق مع أحد الصيادين
الحاضرين ، على أن يغوص فى الماء ويضع فى سنارته سمكة
من صيده الطازج ، ونفذ الاتفاق ، وجذب القائد سنارته ،
فاذا بها سمكة كبيرة ، أراها لحبيته مزهوا . ولكن كليوباترا
لم تكن بالغافلة .. وأعدت للغد عدتها . واتفقت هى الأخرى
مع الصياد سرا .. فلما جاء الغد ، وضع « ماك » سنارته
فى الماء الى أن شعر بثقلها فجذبها .. واذا بها : سردينه كبيرة
مملحة مما يباع فى صناديق البقالين ..

ارتفعت عندئذ قهقهة الحاضرين . وكاد القائد الأمريكى
يغضب ، لولا قول كليوباترا البارع اللبق :

- أيها القائد الظافر !.. مالك وصيد السمك ؟ اتركه
لنا نحن العاديين والعاديات !.. أما أنت فصيدك الجزر والمدن
والمملوك والامبراطوريات ! ..

ما من اكليل غار يعدل هذا الاطراء من فم « كليوباترا » !
عند ذاك ألقى « ماك » بعضا صيده ، وأقبل عليها وقلبه
يقطر حبا ، وهو يهمس :

- يا عزيزتى كلىو !



لكن الحب شديد النهم .. انه يأكل كل شىء حتى نفسه
انه لا يقنع أبدا . ولا يعرف نهاية ولا حدا . لقد جعل
« ماك آرثر » همه الاكبر بعدئذ مطالعة كتب المؤرخين ،
اليونان واللاتين ، الذين كتبوا عن كليوباترا . وخرج من
هذه القراءة بقلب نهشته الغيرة .. لقد تبين له أن أكثر
كلمات حبيبته التى تناجيه بها وتخلب لبه ، سبق أن قالتها
بنصها ولفظها لمارك أنطونى !

ودخلت « كليوباترا » عليه يوما ، فأبصرت فى يده كتاب
« بلوتارك » مفتوحا على فصل يصف أخبارها . ففهمت
لساعتها ما يجيش فى صدر حبيبها المقطب الجبين ، فابتدرته
قائلة :

- أرجوك أن لا تصدق ما يهرف به هؤلاء المؤرخون !
- كيف لا أصدق والعبارات التى أوردوها هى عين
عبارتك التى أسمعها اليوم من شفئك ؟
- اسمع يا مارك ...

- من فضلك .. أنا اسمى ماك .. ماك .. الى متى تظلين
تخلطين بينى وبين الآخر ؟

- ثق أنى لا أخلط .. وانما لسانى يغلط .. هذا طبيعى
أولا تريد للسانى أن يخطئ وهو الذى تعود ذلك الاسم
منذ عشرين قرنا ؟!

- اياك بعد الآن أن تمزجى بيننا . تذكرى دائما انك
رأيتَه مندحرا . أما أنا فانك رأيتنى منتصرا

- نعم .. لقد كان حبى له شؤما عليه . أما حبى لك ،
فكما ترى ، سعيد الطالع .. ولولاي لما انتصرت .. يجدر
بك أنت أن تذكر دائما أنى عدت الى الحياة من أجلك .
هذا ما لم يحدث لبشر غيرك !.

سكن عندئذ نائر القائد الأمريكى واستقرت نفسه .
ومضت أيام وهو هادىء مطمئن راض عن حبه . ولكن
الحب لا يرضى ولا يطمئن .لانه اذا فعل ذلك نام،وهو كالقلب
اذا نام مات ...

ورنت فى رأس « ماك آرثر » عبارتها الاخيرة : « هذا
ما لم يحدث لبشر غيرك » ! فردد مخاطبا نفسه ذات ليلة :
- حقيقة .. هذا ما لم يحدث من قبل .. هذا هو المجد
الذى لم يبلغه بشر .. كليوباترا تعود الى الحياة من أجلى !.

ولكن من يعلم ذلك حتى الآن ؟ .. لا أحد سوى ...
وما قيمة ذلك اذن ؟ ترى ماذا يحدث لو أذيع هذا الخبر
العجيب ، ونشر فى صحف الدنيا : « كليونباترا بعثت لملك
أرثر » !!

تلك هى المعجزة التى تتضاءل بالقياس اليها ألف أعجوبة
مثل القنبلة الذرية !.

وتملكته هذه الفكرة واستحوذت عليه الليالى الطوال .
لا بد أن يكشف أمر كليونباترا للعالم المتحضر .. ولم يتمالك
ففاتحها برغبته قائلاً :

- اسمعى يا كليون ! ..

- انى مصغية يا ماك ..

- أخبرينى .. هل فكرت فى المستقبل .. أغنى فى
مستقبلك ؟

- مستقبلى ؟!

- نعم .. أنظلين هكذا دائماً ضابطة مجنّدة فى غمار
المجنّدات لا يدري بك أحد ؟ أنت أجمل وأشهر ملكات
التاريخ تهبطين الدنيا ، ولا تشعر بك الدنيا ؟ تصورى ، لو
أذيع أمر وجودك ، أى أقواس نصر تقام لك فى كل مكان ،

وأنا بجوارك فخور بك .. انهم فى أمريكا يحسدون من
يقترن باحدى النيبيلات ، فماذا هم قائلون يوم يرون « ماك
أرثر » وفى ذراعاه « كليبواترا » أبهى الملكات وألمع
المتوجات ! ..

- أيها الامريكى ، أهذا هو الذى يشغل بالك الآن ؟ .
أهذا هو مصير حبا ؟ تريد أن تستخدمه أداة اعلان ؟

- بل أريد أن يكرمك هذا العصر

- يكرمنى ؟ أتدرى كيف سيكون تكريمى ؟ انى أعرف
ما ينتظرنى فى بلدك . سأكون ملهاة للسياح ، يأتون لمشاهدتى
من أطراف الارض ، ومادة للصحفيين والمراسلين لا تنضب ،
وموضوعا للنساء فى الصالونات والحفلات والمسارح والسباق
يثرن الاشاعات حولى ، وينهشن بألسنتهن لحنى ، ويتضاحكن
ويتغامزن قائلات : « أهذه هى التى قال التاريخ انها فتنت
القواد والقيصرة ؟ ماذا فيها من حسن وسحر واغراء يثير
الرجال ؟ ! »

- بل ثقى أنك ستكونين أعظم امرأة فى زماننا هذا

- أعظم امرأة ثروة . هذا محتمل جدا وجائز جدا ..
فان شركات الأزياء الكبرى فى أمريكا ستتراحم

عارضة على أبهظ الاجور لأزوج لها أثوابها . وشركات
الزينة والجوارب ، والعطور ، والصابون ، وكبار الحلاقين
ودور النشر ، والمصورين ورجال الصناعة والمال والاعمال
.. الخ. ولا تنس شركات هوليوود السينمائية .. فمن المؤكد
أنها ستتهافت طالبة الى القيام بدور « كليوباترا » فى نظير
مبلغ لم يدفع قط لانسان ، وقل مثل ذلك عن مسارح
برودواى الشهيرة ، ومن يدرى ما ستعرض على أيضا من
عمل ومن مال ...

- طبعى جدا أن يكون لك مال كثير وثروة ضخمة ،
لتقتنى الجواهر والنفائس ، وتملكى فى كل قارة أكثر من
قصر وفى كل بحر أكثر من يخت وتعيشى حياة الترف الخليفة
بك وباسمك العظيم !..

- اسمى العظيم .. حقا سيكون كذلك ، يوم أراه منقوشا
بتوقيعى الكريم ، على كل علة بودرة وكل زجاجة كلونيا
وأحمر شفاه ، وصبغة أظافر ..! هذا هو عصرك وبلدك
.. وهذا هو حبك . وهذا هو كل مستقبلى !..

وقامت غاضبة ، وفى عينيها دمة ، أخفتها بأصبعها ،
وانصرفت مسرعة ، فهض « ماك » خلفها وهو يصيح بها :

- كليو ... كليو ... انى أمزح

- لا .. أنت لا تمزح . انى أقرأ ما فى أعماق نفسك
انك لن تستطيع طويلا أن تقنع بحبى لك فى زى ضابطة .
أنت تريد أن أحبك أمام الدنيا فى ثياب « كليوباترا » وان
صبرت اليوم فلن تصبر غدا .. انى أعرف غرورك !

- لن أقدم أبدا على أمر يفضبك

وبرق عندئذ فى رأسها خاطر ، فقالت :

- ومع ذلك .. فقد فاتنا شئ خطير . ليس فى مقدورك
أن تكشف أمرى .. ان ذلك يعرضك لكارثة :

هب أنك أقدمت وأعلنت حقيقتى للناس .. أتعلم ما الذى
يحدث ؟

- ماذا ؟

- يحدث لك ما حدث لكل من أعلن مثل هذا الأمر من
قبلك : لن يصدقك الناس .. فاذا أصررت وماريت وجادلت
قادوك بكل بساطة الى مستشفى المجازيب

- ماذا تقولين ؟

- أقول الحقيقة . لقد كذبت عليك يوم قلت ان ظهورى
لك لم يحدث مثله من قبل لبشر . الواقع أن كثيرين من

الموتى يظهران للأحياء . وأن كثيرين من الأحياء يعيشون ويختلطون بالموتى . ان الحاجز بين العالمين غير موجود . انه حاجز وهمي ، هو العقل الذى يسدل ذلك الستار بين هذين العالمين . ولكن من الناس من يخرج أحيانا على سلطان العقل ، فيرفع فى الحال الستار لنفوسهم ويبصرون ما وراءه ويمتزجون بمن خلفه . فاذا احتفظوا بهذا السر لأنفسهم سلموا .. أما اذا باحوا به فقد اتهموا بالجنون .. ثقب أن كثيرين قد ظهرت لهم « حشيشة الموت » و « نفرتيتى » و « سميراميس » كما ظهرت أنا لك ... وعاشوا متحابين آمنين ما بقى السر مكتوما . أما الذين فقدوا ضبط أعصابهم فأعلنوا ذلك للناس ، فهم أولئك الذين تراههم يعمرون مصحات الأمراض العصبية والعقلية

- ما أظلم الناس ! ..

- بل ما أظلم العقل ! .. هو الحاكم المسيطر فى حياة البشر ، الذى يحجب عنهم نصف الوجود ، فمن جرؤ ونزعه ليرى خارجه .. لم يقل الناس انه تحرر ، بل قالوا انه مرض .. ذلك أن هذا الحاكم الجبار ككل طاغية ، لا يسمى الخارج عليه متحررا ، بل يسميه مريضا يستحق العلاج والحبس ..

- من حسن الحظ أن أمريكا بلد الحرية ، ونحن فيها
نكره الطغاة والمسيطرين .. وانك سترين للحرية تمثالا
عظيما عند مدخل نيويورك .. فاطمئنى يا كلىو ، ولا تخافى
شيئا ..

- حقا انها حرية فى تمثال ، ولا أكثر من تمثال !
ستبوح للناس اذن ؟ ..
- لا . لا .. لم أقل ذلك
- أرى فى عينيك ..
- اذا وافقت أنت . ومن يدري ؟ قد توافقين يوما ...
- سترى اذن ما أصنع ..



مرت أسابيع .. واذا صحفى ذو شأن يأتى من نيويورك
ليجرى حديثا مع « ماك آرثر » ..
وطالعت « كليوباترا » فى وجه القائد الأمريكى ما رابها
وأثار قلقها .. وأدركت أنه قد لا يستشيرها ، ورجحت
أن لسانه سينطلق .. وأنه قد يضعها أمام الأمر الواقع وجها
لوجه .. ويقدمها للصحفى قائلا :
- « الملكة كليوباترا » أو « مسز كليوباترا » !

لم تطق هذه الفكرة .. وأسرعت من فورها تبحث عن
ثعبان ...

لقد جربت الموت من عضته . انه لا يحدث تشنجا ولا
تمزقا بل يغرق الانسان في شبه نعاس هادىء يتمنى من يقع
فيه أن لا يصحو منه .. الى أن تضعف حواسه ويموت موتا
لذيذا ..

غير أنها ذكرت وقتئذ أن « الاسيرين » يحدث اليوم عين
الآثر ... فاضطجعت على فراشها وهي بملابس الضابطة
... وابتلعت أنبوبتين ...

« علم » ماك « بالحادث .. فدخل عليها مسرعا ، فوجدها
فى النزاع الاخير . وانحنى عليها متفجعا ، وهمس فى أذنها:
- كليو .. كليو .. ماذا صنعت ؟!

فقالت وهي تحتضر :

- هل أخبرت الصحفى ؟

- كلا يا كليو

- ماك .. احفظ سرى فى قلبك وحده !.

وأسلمت الروح .. للمرة الثانية .. وربما للمرة الثالثة
أو العاشرة .. أو المائة .. لا أحد يدري ...

ظل هذا السر مكتوماً بالفعل زمناً.. الى أن مرض « ماك
أرثر » بحمى خفيفة ، فجعل يهذى فى الليل ، ويقول
للممرضة القائمة على فراشه :

- كليو .. كليو .. هل عدت الى الحياة مرة أخرى من
أجلى ؟!

وحار جميع من حوله فى أمر « كليو » هذه .. فهم لم
يسمعوا « الجنرال » يلفظ هذا الاسم أمامهم من قبل ...
وتساءلوا من تكون ؟ أتراها تلك الضابطة « مسز كليتون »
سكرتيرته التى أمضها الأرق ، فماتت منتحرة بالأسيرين ؟!
هكذا قال من أخذ الأمور بطواهرها .. أما الحقيقة التى
لم تنشر حتى الآن ، فهى التى رويت هنا بحذافيرها. ولمن
يرتاب أن يلجأ الى الجنرال « ماك أرثر » نفسه ... وهو
لن يستطيع أن ينفى الواقعة

موقف عرج

حدث ذات صباح أن كنت جالسا على افريز المقهى المعتاد
بجوار صديقي حسن « بك » . وهو ليس من أصحاب
الألقاب ولا حملة الرتب ولكن هكذا تناديه ، لأن حب
المظهر شيء في دمه ، والرغبة في « التظاهر » طبع فيه

مر بي في ذلك اليوم مصادفة ، فأجلسته وأكرمه ، ولم
أكن رأيته منذ شهور . وأمرت له بفنجان من القهوة .
وأخذنا في الحديث .. وإذا شخص يدنو مني مبتسما مترددا
فالتفت اليه وبادرته :

- من حضرتك ؟

- أنا اسمي ... مرقص ..

- طلباتك ؟

فمال على أذني هامسا :

- هل تقبل أن تكسب خمسين قرشا في اليوم ، وأنت

جالس في مكانك ، هذا ، بدون أن تصنع شيئا ؟

- بالطبع . لا موجب للرفض

قلتها على البديهة ، كأنها من وحي الشعراء ، فبادر الرجل
بقول :

- اذن اتفقنا .. وهذه دفعة على الحساب ..
وأخرج بالفعل ورقة مالية من فئة الخمسين قرشا ، دسها
فى كفى ، فوضعتها على الفور فى جيبى ، وأنا أقول :
- اتفقنا

وانصرف عنه الى استئناف الحديث الذى انقطع بينى وبين
حسن «بك» ، ولكن الرجل حدجنى بنظرة شديدة وقال :
- ألا تسألنى عن أصل الموضوع ؟!

- أى موضوع ؟

- لماذا اذن أعطيك هذه النقود ؟

- وهل أنا أعرف ؟ كل معلوماتى فى الأمر ، أنه قد تم
بيننا اتفاق . ألم يحصل بيننا الآن اتفاق ؟ . ألم يقع عرض
وقبول ؟ أما من جهتى فقد قبلت وانتهى الأمر .. بهذه
المناسبة أحب أن أستفسر منك لماذا تعطينى هذا المبلغ ؟

- أخيرا . اسمع يا سيدى . المسألة بسيطة . أنت تجلس
هنا دائما تراقب المارة فى غير شئ ، فلن يكلفك جهدا أن
تراقب سيدة يقال انها تتردد على هذه العمارة .. فتعرف لنا

فى أى ساعة بالضبط تدخل ، وفى أى ساعة تخرج ؟

- وما شأنك بهذه السيدة ؟

- لا شأن لى بها على الإطلاق ، ولم أرها قط ...

- عجباً ! .. وما الداعى اذن لأن تجعلنى شرلوك هولمز
فى مسألة لا تعينك ولا تعينى ؟!

فتتحنج الرجل ثم قال :

- فلتكلم بصراحة . لا أحسن من الصدق والصراحة .

أنا فى الحقيقة المكلف بهذه المراقبة فى نظير مبلغ جنيته ،
ولكنى مشغول بعمل آخر ، وليس لدى الوقت الذى يمكننى
من أداء هذه المهمة .. ففكرت فى أن أستأجرك من الباطن ،
وتتقاسم المبلغ ...

- عظيم يا مرقص أفندى . أنت فى الحقيقة هو الذى

لا يصنع شيئاً ويتقاضى خمسين قرشاً

- وأنت أيضاً لا تصنع شيئاً

- كيف تقول ذلك يا مرقص أفندى ؟ فأنا الذى سأقوم

بكل المهمة

- بالاختصار تريد أن أنزل لك عن جزء من حصتى ؟

فليكن ما تريد . أنا لا أحب أن أغضبك . اليك عشرة قروش
أخرى ..

- خمسة وعشرين من فضلك !

- تريد أن تأخذ ثلاثة أرباع الجنيه وأنا الربع ؟!

- هكذا العدل

فنفخ الرجل غيظا . ولكن لم يجد من القبول بدا .
فأخرج من جيبه فرق المبلغ ، وتقديى اياه دون أن ينبس
بحرف . فوضعت النقود فى جيبى ووعدته خيرا ، وانصرفت
عنه الى محادثة جليسى . ولكن الرجل لم ينصرف ، ودنا
منى يقول :

- حضرتك لم تسألنى عن السيدة

- أى سيدة ؟

- التى ستراقبها . كيف ستقوم بمراقبتها وأنت لم تعرف
منى أوصافها ؟

- حقيقة . غاب عن فطنتى ذلك . اذكر لى أوصافها

- خير من هذا أن أريك صورتها ، لتتطبع ملامحها فى
رأسك جيدا .. اليك الصورة .. انظر ..

وأخرج من محفظة جيبه صورة فوتوغرافية لامرأة
مليحة أطلعني عليها بحذر وهي في يده . فقلت له :

- هل تسمح لي أن أحتفظ بالصورة ؟

- ليس هذا من المستحسن ، لأنني وعدت أن أحرص
عليها ولا أسلمها لأحد

- ومن الذى أعطاك اياها ؟

- لا يا سيدى ، هذه أسرار خاصة ، لا يجوز لنا الخوض
فيها . هذا لا يعني . فلنعمل في حدود التكليف ، ولا دخل
لنا فى الباقي

- أهو زوجها ؟

- لا أظن

- لعله خليلها ؟

- ربما

- خليلها يشك فى سيرها ويغار على سلوكها ؟!

- فراستك فى محلها . على كل حال هذا باب أنصحك

ألا تفتحه أو تفتش خلفه . أسرار العائلات وخفايا البيوت
يجب أن تكون عندنا فى الحفظ والصون ..

- مفهوم ، مفهوم

- والآ ن ... أنا معتمد عليك

- اطمئن ... فقط لا أخفى عنك أن ذاكرتى ضعيفة ولا يعتمد عليها ، فمن مصلحة العمل أن تترك لى الصورة ، ولو ليوم واحد ، أرجع اليها وأطابق حتى لا يحدث لبس أو غلط . ان السيدات المارات كثيرات . ومن الصعب على مثلى أن يفرز هذه من تلك

ففكر الرجل لحظة ، وهرش رأسه قليلا ثم مد لى يده بالصورة وهو يقول : « لا بأس . أبقها معك اليوم » وأوصانى بالمحافظة عليها حين ردها اليه فى الغد ..

وانصرف مرقص أفندى مشيعا بعبارات التجلة والاحترام وما كاد يخفى عن بصرى ، حتى ملت على جليسى حسن بك وقصصت عليه القصة من أولها الى آخرها ، مع حذف مسألة الخمسة والسبعين قرشا بالطبع ، وختمت الكلام بقولى :

- أنت تعرف أن غفلتى أكبر من فطنتى ، وأن سهوى أكثر من صحوى ، أما أنت فكثير الفطنة شديد اليقظة ، فما رأيك لو قمت عنى بهذه المهمة .. وألقيت بالك الى كل سيدة تدخل العمارة أو تخرج منها ، وتطابق أوصافها على الصورة التى سأطلعك عليها الآن ؟ .. على أنى قبل كل

شئ أحب أن أصارحك بأن هذا عمل بأجر ..

فضحك حسن بك وقال :

- لا عليك ... اننى سأقوم به لوجه الله

- لا يا سيدى الفاضل . الشغل شغل . لا يوجد شئ

اسمه لوجه الله . وهل تظن وجه الله يرى بلا ثمن ؟ هذا

التعبير خطأ فى خطأ . ولست أدرى من ابتدعه . ان وجه

الله لا يشاهد بالمجان ، بل بمصروفات . واليك البيان : لا بد

من دفع صدقة وزكاة ونذور وفداء وكفارة ونفقات حج

وتكاليف زيارة واغاثة ملهوف والتضحية فى العيد بخروف

.. الى آخر تلك المبالغ التى لو جمعتها لكان الحاصل رقما

لا يستهان به . فدع فكرة التبرع وتناول أجر عملك طبقا

للأصول المعمول بها فى جميع الاحوال

- أمرك . انقدنى الأجر اذن

- سأدفع لك ثمن فنجان القهوة .. أتقبل ؟

- قبلت

قالها راضيا مغبطا ، ومد يده ليتناول من يدى الصورة .

فقلت له :

- مهلا . يجب أن تردها الى قبل قيامك . فقد وعدت

أن أردھا الى الرجل غدا ..

فقال بابتسامة بريئة :

- طبعاً ، وما الداعى لاحتفاظى بها طويلاً ؟

فوضعتها فى كفه .. فرفعها الى عينيه باسمها بغير اكتراث .
ولكن .. لم يكد بصره يقع عليها حتى امتقع لونه ، وارتجفت
يداه ، وارتعشت شفاهه .. وهالنى أمره فقلت له :

- حسن بك .. مالك ؟

فلم يجب . وخيل الى أن أذنه لم تعد تسمع . وجمدت
عيناه على الصورة وتصبب العرق من جبينه . فهزته يدي
قائلاً :

- مالك يا حسن بك ؟ هل .. هل تعرفها ؟

فقال بصوت ميت ينشر من قبر :

- كيف لا أعرفها وهى .. زوجتى ؟!

وانقض الرجل انتفاضة خلت روحه قد خرجت معها
ووئب من مقعده ، وانطلق فى الشارع يعدو كالمجنون .
ولم يلبث أن غاب عن نظرى الشارد ، وفكرى الداهل .
وكدت أصبح فى أثره :

- الصورة ... الصورة ..

ولكنى تذكرت فجأة كارثته . وأدركت أنها له . وأنه
أحق أهل الارض بحملها والاحتفاظ بها . فملكك نفسى ..
وثاب الى رشدى قليلا قليلا فلغنت يومى . ولغنت مرقص
أفندى . ولغنت الخمسة والسبعين قرشا ، التى خسرت من
أجلها صديقى ، وخسر الصديق زوجته وخسرت الزوجة
خيلها . ولو كنت أعلم أن المهمة ستؤدى الى هذه الفواجع
كلها ، لطالبت مرقص أفندى بما لا يقل عن خمسة جنيهات

فهرس

صفحة

٧		مقدمة
١١		مدرسة المغفلين
٢٥		الشيخ البليسي
٣٣		ابليس ينتصر
٤١		ليلة الزفاف
٦٩		طريد الفردوس
١٠١		لا كرامة لنبي في وطنه
١١١		الدنيا رواية
١٣١		نصيب
١٥٩		كليوباترة وماك
١٧٩		موقف حرج

كتاب الهلال

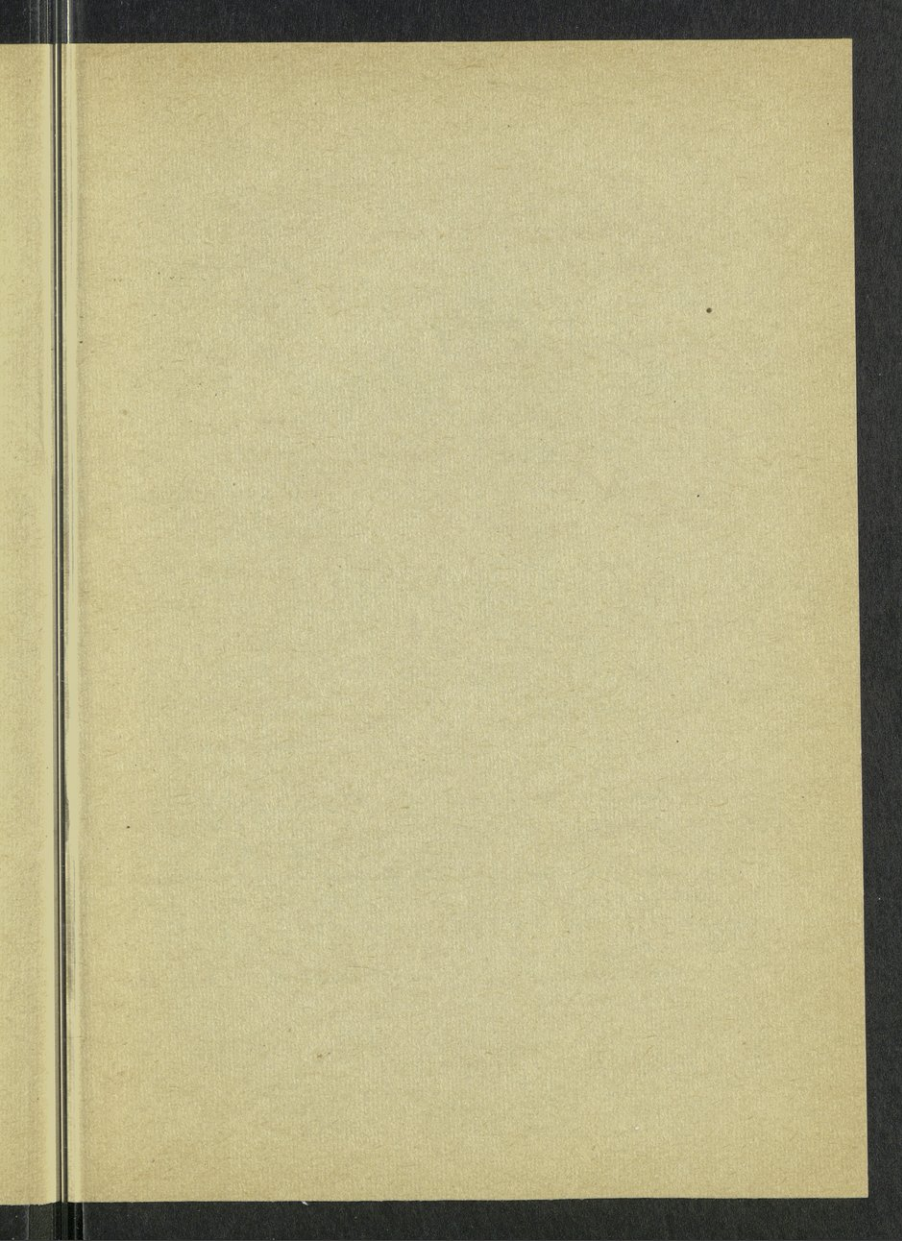
سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هي خطوة ثقافية كبيرة قامت بها دار الهلال لتيسير القراءة المفيدة للجميع .. ففي الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لأحد كبار الكتاب في الشرق والغرب ، في اخراج أنيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتاب الواحد ٨٠ مليما (ما عدا كتاب زينب ١٠٠ مليم) بخلاف مصاريف البريد المسجل ، وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية:

عبقريه محمد	غاندى : القديس الشائر
تأليف عباس محمود العقاد	تأليف لويس فيشر
ماجلان قاهر البحار	زعيم الثورة سعد زغلول
تأليف ستيفان زفايج	تأليف عباس محمود العقاد
هرون الرشيد	الزعيم أحمد عرابي
تأليف الدكتور أحمد امين	تأليف عبد الرحمن الرافعي
أبو الشهداء	بطلة كربلاء (نفدت نسخته)
تأليف عباس محمود العقاد	تأليف الدكتور بنه الشاطيء
جنكيز خان سفاح الشعوب	أشعب أمير الطفيليين
تأليف ف . يان	تأليف توفيق الحكيم
قلب النسر	نفرتي ربة الجمال والتاج
تأليف أوكثاف أوبرى	تأليف صوفى عبد الله
السيد عمر مكرم	حديث رمضان
تأليف محمد فريد أبو حديد	تأليف الامام محمد مصطفى المراغى

- مذكرات عرابى (جزء ثان)
تأليف الزعيم أحمد عرابى
- عبقريّة عمر
تأليف عباس محمود العقاد
- آمنة بنت وهب
تأليف الدكتورة بنت الشاطيء
- فاطمة الزهراء والفاطميون
تأليف عباس محمود العقاد
- عصا الحكيم فى الدنيا والآخرة
تأليف توفيق الحكيم
- أبو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقى
- البؤساء
تأليف فيكتور هيجو
- علمتني الحياة
لنخبة من الشرق والغرب
- فى الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازنى
- عبقريّة خالد
تأليف عباس محمود العقاد
- الذئب الاغبر مصطفى كمال
تأليف الكابتن هـ.س. ارسترونج
- كليوباترة فى خان الخليلي
تأليف محمود تيمور
- الاسلام دين الفطرة
تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش
- لا تخف
تأليف ادوارد سبنسر كولز
- مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية
تأليف عبد الرحمن الرافعى
- القائد الاعظم محمد على جناح
تأليف عباس محمود العقاد
- زينب
تأليف الدكتور محمد حسين هيكل
- مذكرات عرابى (جزء اول)
تأليف الزعيم أحمد عرابى

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الكتب من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب (المبتديان) بالقاهرة وشركة الصحافة المصرية بشارع النبى دانيال بالاسكندرية ، ومن شركة الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمى صاحب المكتبة المصرية شارع المتنبي ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات بشارع بيكو طريق المالكى ببيروت ، ومن الكتب العام لتوزيع المطبوعات لصاحبه السيد على نظام ببنابة العابد بدمشق ، ومن جميع الكتاب الشهرة ، واكتشاك الصحف ما عدا الكتب التى نفدت نسخها كما ترى فى هذا الكشف

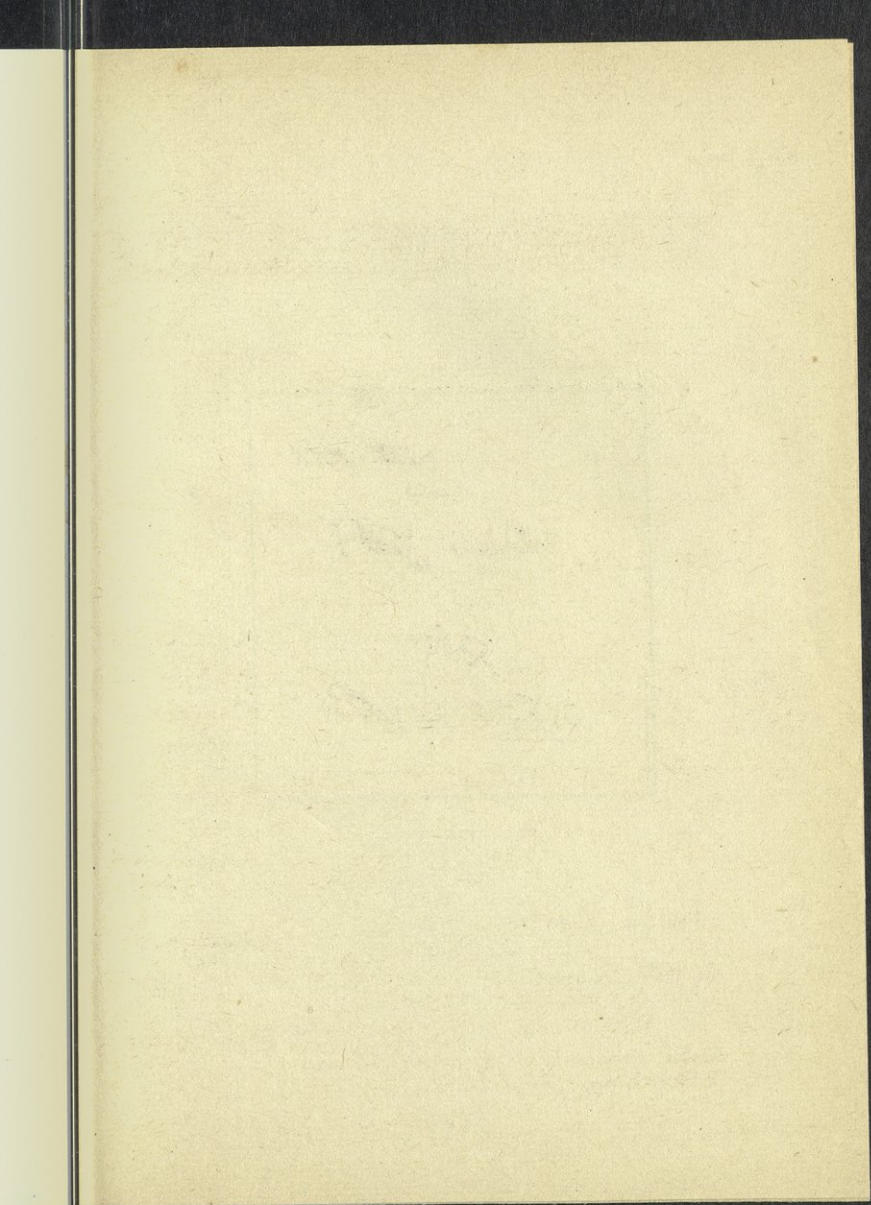


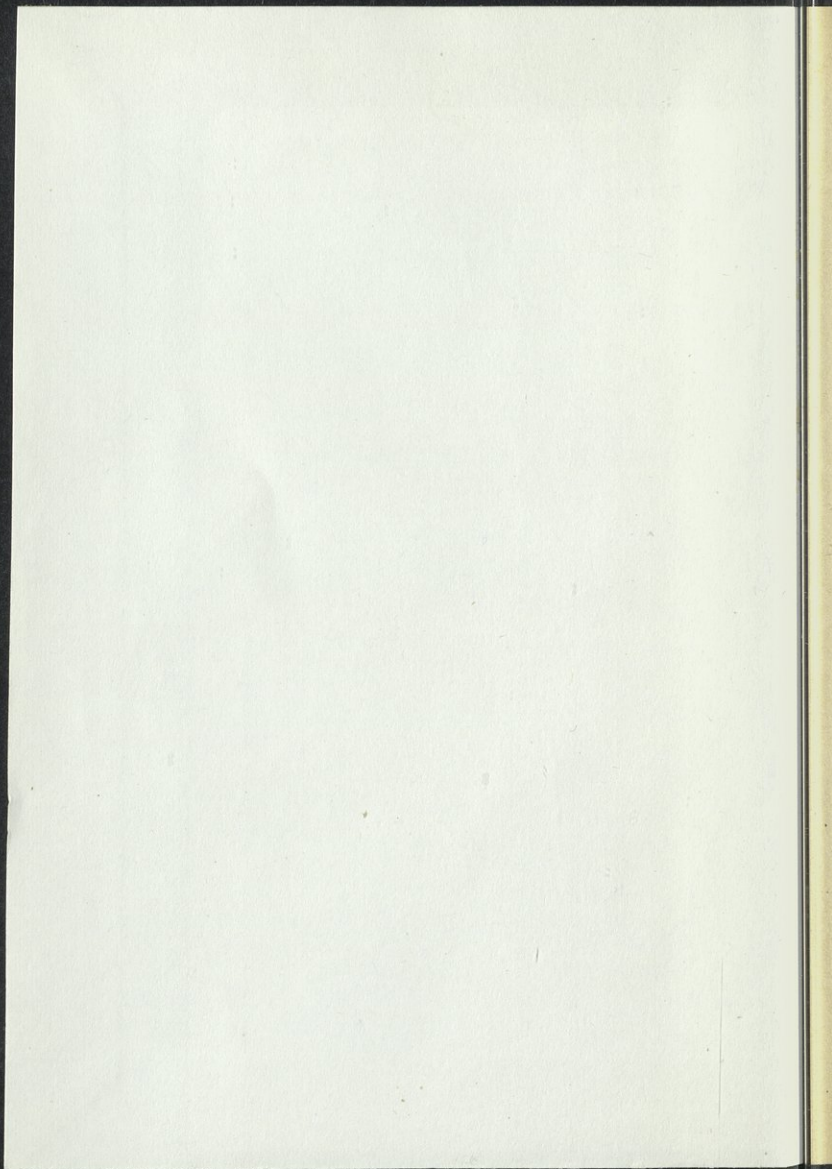
الكتاب القادم

لا تقتل نفسك !

تأليف

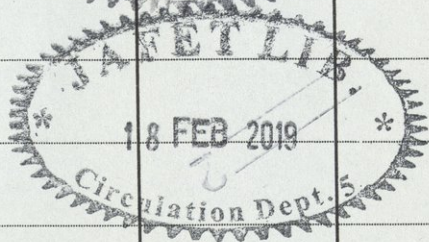
الدكتور بيتر شتانيكرون





AUB. LIBRARY

DATE DUE



AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00479988

هذا الكتاب

لهذا الكتاب اسم غريب وضعه مؤلفه الاستاذ توفيق الحكيم ، لا حبا في الغرابة ، ولا رغبة في تشويق القراء الى ما فيه من غرائب القصص ، بل لأن هذا الاسم ، وان كان عنوانا للقصة الاولى من قصصه ، فانه يكاد يكون عنوانا لجانب كبير من قصص الحياة وحوادث المجتمع . فالغفلة أساس كل خطأ مادي وأدبي ، وأهم مصدر لكل اهمال وتقصير

فلولا غفلة الآباء ما درج الأبناء على الاستهانة بالواجب ونشأوا على تربية سيئة ، ولولا الغفلة ما هدمت حياة زوجية كان يسودها الهناء بين الزوجين ، ولولا الغفلة ما تقطعت أسباب الصداقة بين الأصدقاء

ان هذا الكتاب يحوى طائفة من قصص المغفلين في هذه الدنيا ، ولكنه - الى ذلك - يحوى طائفة أخرى من قصص النابهين . وكما أن النباهة في الحياة مدرسة يسعد فيها الناجحون ، فالغفلة مدرسة يشقى فيها الفاشلون ، وقد صور الأديب الحكيم هذا كله في قصصه البليغة وفي أسلوبه الفني الممتاز